وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل: م أ ع/ ٢٠١٤/١٢٧

الموضوع

تأثيرات الاتجاه الفلسفي في شعراء المهجر
جبران خليل جبران – أنموذجا –

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب حديث

إعداد الطالب:
– مهدي عبد الحفيظ

إشراف الدكتور:
- السعيد حمودي

تاريخ المناقشة: ٢٠١٦/٠٥/١٦

أمام لجنة المناقشة:

١- الدكتور محمد بوعلاوي رئيسا

٢- الدكتورعثمان مقيرش ممتحِنا

٣- الدكتور السعيد حمودي مشرفا ومقرّرا

السنة الجامعية: ٢٠١٥/٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــــــــــداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا أما بعد بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وهانحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.إلى منارة العلم والإمام المصطفى إلى الأمي الذي علم المتعلمين إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات،إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الحبيبة إلى والدي العزيز

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف (حمودي سعيد) الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ والزميل مهديد بايزيد على مساعدتنا وتوجيهنا من أجل انجاز و إتمام هذا العمل المتواضع.

و في الأخير لا يفوتنا أن نشكر كل

أساتذة و موظفي قسم اللغة والأدب العربي .

مهدي

مقدمة

مقدمة :

تعددت الاتجاهات النقدية في العصر الحديث، بفضل التطور الذي حدث في العالم الغربي في شتى الميادين .

وقد كان لنقادنا العرب نصيب من هذه المناهج بفعل الترجمات التي قاموا بها والتي حاولوا من خلالها دراسة الشعر العربي الحديث، ومعرفة روافده وأصوله والعوامل المؤثرة فيه، وذلك من أجل استنطاقه وكشف مكنوناته .

ولعلّ الشعر المهجري متأثر بهذه الروافد لما يتميز به من خصائص تجعله ذا مكانة عن غيره من أصناف الشعر الأخرى.

فالهجرة من بيئة لأخرى تقتضيها عوامل وظروف تدفع إليها، وما نحن بصدده فهو هجرة الآداب من أرض إلى أرض أخرى، فتلك الرحلات التي يتم فيها الانتقال خارج نطاق الوطن بالاندماج في أرض جديدة ليس له بها عهد من قبل، وفيها كل الظروف المغايرة من ثقافة وحضارة ومن لغة و أسلوب حياة، ومن اختلاف أجناس آداب فبعدما هاجر الأدب العربي إلى أرض الفرس الروم و الأندلس هاجر هذه المرة هجرة غريبة عجيبة، وربما كانت الغرابة في هذه الهجرة تعود لقسوة ظروفها وبعد مداها إلى أرض الدنيا الجديدة مجردا من صنوف القوة، والعجب مردّه إلى مقدرة المهاجرين و العرب. فكانت هذه الأرض" أمريكا" أين خلق المهجريون تراثا أدبيا عربيا نعتز به.

وبذلك فمدرسة المهجر إحدى المدارس الأدبية في حركة الأدب في العصر الحديث"شعرا ونثرا "لها سماتها وخصائصها المميزة ولها مذهبها في فهم الشعر وخطوات التجديد فيه، فهؤلاء الأدباء و الشعراء خلّفوا كنزا ذا قيمة لا تقدّر، فقد استطاعوا بأفكارهم أن يكونوا فلاسفة لا أصحاب مذاهب فلسفية.ومن أبرز هؤلاء"جبران خليل جبران" الذي جعلناه أنموذجا لبحثنا، فيكفي أن نذكر"جبران" لنربطه بكل أولئك الأدباء الذين أسسوا هذا الأدب

بأفكار وعقائد وفلسفات آمنوا بها وتأثروا بها أيضا.واتخاذنا جبران أنموذجا لا ينقص من قيمة الأدباء الآخرين، فكل واحد من هذه المدرسة له وزنه وقيمته وأثره في الأدب الحديث، لكن بما أن جبران كان مدرسة لأغلب هؤلاء وفلسفتهم هي نفسها فلسفة جبران ارتأينا أن يكون"نموذجا" لكل زملائه في هذه المدرسة.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الأتية :

- هل في إمكانية جبران أن يضع أبرز مشكلات الإنسان الأساسية في مستوى فني مثير ؟ وتتفرع عنها جملة من التساؤلات أبرزها :
- هل أنّ هذه المشكلات تخرج القارئ من حياته الاعتيادية إلى يقظة روحية عاصفة ؟
- ما هي أهم الزوايا التي يمكن تبئيرها من خلال تتبع الأصول الفلسفية للشعر المهجري ؟

وهذا الموضوع يستمد أهميته من حيث هو تطبيق على مدونة شعرية عربية حديثة تكشف عن اقتدار الشاعر العربي في توظيف دلالات ورموز تبين عن حاله وتعرّف سياقات النصوص التي كانت تعبّر عن حاله وما يعانيه من أزمات بالإضافة إلى البحث عن عملية الخلق والإبداع، وكذلك النظر في خصائص نتاجهم الشعري .

ولعلّ الدافع لاختيار هذا الموضوع وخوض غمار هذه التجربة العلمية هو :

- البحث عن ثقافة الشاعر العربي وروافدها الفلسفية .
- إجلالي لهذا الشعر كونه علامة فارقة في تاريخ الأدب العربي .
- طبيعة التخصص الموجّه لمجال البحث .

ومن الأهداف التي رسمت من وراء إنجاز هذا البحث هي :

أ- الكشف عن الحقيقة المتخفية وراء هذا النوع من الشعر .

ب- الالتفات إلى الشعر العربي وتحديدا المتعلق بخبايا النفس الإنسانية ومحاولة ربطه بالعالم الخارجي .

ج- توظيف المبادئ الفلسفية على الشعر المهجري وتجاوز مرحلة التنظير إلى اكتساب منهجية التطبيق .

وقد تدرجنا في خطة كانت كالآتي :

الفصل الأول : وتطرقنا فيه إلى الحديث عن الهجرة الأدبية العربية من حيث الأسباب والدوافع والنتائج بالإضافة إلى الإشارة إلى الأدب المهجري وخصائص الشعر المهجري

كما تحدثنا في هذا الفصل عن أعلام الشعر المهجري .

الفصل الثاني : بعنوان تأثير الفكر الفلسفي في جبران، وذلك بالحديث عن الأصول الاجتماعية والاشتراكية، وكذا الأصول الدينية، كما ذكرنا فيه الفلسفة الغربية وتأثيراتها على جبران .

وخاتمة أجملنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

وملحق يتضمن حياة الشاعر .

ولمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا المنهج الوصفي الذي كان غالبا ، و قد تقاطع مع مناهج أخرى أبرزها المقارن و ذلك لمقتضيات علمية تستدعي انتهاج هذا المنهج .

كما واجهتنا عدّة مشاكل وصعوبات أهمها أنّ هذا الموضوع متشعب وفلسفة جبران لا يمكن أن نعطيها حقها، إضافة إلى نقص المصادر والمراجع المتعلقة بهذا الموضوع وصعوبة الحصول عليها .

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على جملة من المصادر و المراجع من أهمها :

(الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث) لأنيس المقدسي،(التجديد في شعر المهجر) لأنيس داود، (جبران في عصره آثاره الأدبية والفنية) لجميل جبر، (المجموعة الكاملة بالعربية – المجموعة الكاملة المعرّبة – النبي – الأرواح المتمردة – دمعة وابتسامة– المواكب) لجبران خليل جبران، (المقالة الأدبية) لجورج غريب، (دراسات في الشعر العربي المعاصر) لشوقي ضيف .

ولا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتوجه بأسمى معاني الشكر والامتنان والتقدير للمشرف : الدكتور: السعيد حمودي على رعايته لهذا البحث منذ نعومة أظافره إلى أن صار على هذه الشاكلة، حيث كان له الفضل الكبير في تذليل وترشيد الصعوبات .

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من عناء في قراءة هذا البحث وتقويمه وتقييمه.

الفصل الأول

الهجرة الأدبية العربية

أولا: الهجرة، الأسباب، الدوافع والنتائج

أ/ الهجرة،عواملها وأسبابها.

ب/ الهجرة، الأحداث والنتائج.

ثانيا: الأدب المهجري.

أ/ المؤثرات العامة للأدب المهجري.

ب/ الأدب المهجري، فنونه ورأي النقاد فيه.

ثالثا: خصائص الشعر المهجري.

أ/ التجديد في الشكل.

ب/ موضوعات الشعر المهجري.

رابعا: أعلام الشعر المهجري.

أوّلا: الهجرة الأسباب، الدوافع والنتائج

أ – الهجرة، عواملها وأسبابها:

هاجرت جماعات من العرب، وبخاصة من سوريا و لبنان في القرن التاسع عشر و القرن العشرين إلى العالم الجديد، وأقاموا في الدول الأمريكية الجنوبية و الوسطى و الشمالية (الولايات المتحدة الأمريكية، البرازيل،الأرجنتين...) ونقلوا اللغة العربية و الأدب العربي الى تلك المهاجر البعيدة، فنشأ أولئك المهاجرون أدبا يعبرون به عن مشاعرهم، وعواطفهم، ويتحدثون فيه عن رغبتهم وحنينهم إلى الأوطان ويصفون البلاد التي أقاموا فيها، ومظاهر الحضارة السائدة هناك ويصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب سديدة ومثيرة وكان أدبهم " أدب المهجر" وشعرهم " الشعر المهجري" الذي أصبح مدرسة شعرية من مدارس الشعر الحديث، وعنى به الأدباء و النقاد عناية كبيرة.

وأكثر المهاجرين من العالم العربي إلي أرض العالم الجديد، كانوا من أبناء سوريا و لبنان وقد دفعتهم إلى هذه لهجرة بعيدة عوامل كثيرة:

أ-1/ الأسباب السياسية و الاقتصادية:

اختلف المؤرخون في تقدير أسباب الهجرة اللبنانية إلى العالم الجديد أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، وهم برغم هذا الاختلاف الظاهر مجمعو ن على أن السبب الأول و المباشر لتلك الهجرة إنما هو دافع الاقتصادي نجم عن فقر البلاد وضيقها وقلة الأراضي الزراعية، كما كان لنظام الإقطاع الذي كان سائدا في لبنان أثرا سيئا في أحوال البلاد الاقتصادية، فكان هناك التفاوت الاقتصادي الواسع الهوة وعدم المساواة الاجتماعية بين الأفراد((فلم يكن الفلاح يستطيع استغلال أرضه لأنه كان يوجه ضغط الحكومة التركية التي كثيرا ما كانت تحرمه نتائج أتعابه))[1] .

1 – نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف، القاهرة مصر، 1964،ص44.

كما كان للعامل السياسي الأثر في هجرة اللبنانيين، فقد كانت لبنان وسوريا خاضعين للحكم واضطهاد الحكم العثماني الفردي الجائر، الذي تضطهد فيه الحريات، وتوأد فيه الكرامات ويساق الناس فيه إلى السجون و المعتقلات و المشانق لأوهى الأسباب، فساءت الأحوال الإدارية وفرضت الرقابة الشديدة على الأفراد و الجماعات، فظل الحال على هذا المنوال و الحكم يتطور من سيئ إلى أسوا، ومرغ الجهل سدوده و التعصب المقومات يفرض نفسه على الآراء و الأقوال و الطائفية على أشدها. ففي عام 1761 صدر قانون الأساسي مما زاد الطين بلة فقوبل بسخط شديد لأن السلطات العثمانية كانت– أنذاك– ماتزال تفرض ألوانا من السيطرة على حياة الناس، فتصادر كل إحساسه بالحرية.

ففي هذا الجو القائم الخانق لم يكن بد من التفكير في منطبق إلى حياة أكرم وإلى عيش أرغد ولم يكن هذا المنطلق إلا تلك الولايات الأمريكية التي كانت تعتبر في تلك الأوقات مرافئ للحرية ومنتجعات للرزق الوافر الكريم، فبدأت الهجرة مدفوعة بهذين السببين القاهرين، الفقر المدقع و الشعور بالغربة و الذل في بلد لا يحكمه أهله، و يسيطر على مقاليد ذووه، فأخذوا يتجهون صوب العالم الجديد، ناشدين للحرية، وفرار من الظلم و الجور و الطغيان السياسي. فأخذ الناس يهاجرون إلى أرض العالم الجديد طلبا للحياة الكريمة و للغنى و الثراء والمال و الرزق حيث يقول أديب مهجري في تقديم ديوان إلياس فرحات:((لقد جئنا المهاجرين مستجيرين مسترزقين))[1]

ويقول" نسيب عريضة" "في قصيدته" حكاية مهاجر سوري":

غريبا من بلاد الشرق جئت بعيدا عن حمى الأحباب عشت

اتخذت أمريكا وطنا عزيزا فكانت لي كأحسن ما اتخذت

ولكني طلبت بها حياة مع الحرية المثلى، فنلت[2]

1 – محمد عبد الغنى حسن، الشعر العربي في المهجر، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، د ت، ص25.

2 – عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط3، 1980م، ص13.

ويعلن" شكر الله الجر" وغيره من الشعراء و الأدباء، أن الذي دفعه إلى الاغتراب عن البلاد هو ما مليت به من الذل و سوء الحال لأن الحر لا يستطيع أن يعيش في مكان أطبق عليه اليأس من كل ناحية فيقول:

إيه لبنان يشهد الله أن ماهجرناك عن قلى وصلابة

إنما أصبح المقام بأرض الأرز م للحد ذلة ومعاية

كيف لا يهجر الأبي مكانا ملأ اليأس جوه ورحابه[1].

ويقول أيضا الشاعر المهجري" مسعود سماحة" وهو يفارق وطنه"

سأترك أرض الجدود ففيها حياة الجبان وموت الجرى

تفيد أقلام أحرارها وتطلق أيدي ذوي الميسر...

سلام على أرض كولمبس سلام على ربعها الأزهر[2]

كم نجد ما يفسر ذلك من القصائد و أبيات في دواوين وكتب المهاجرين من الشعراء، كديوان" حكاية مغترب" للشاعر الكبير" جورج صيدح" وفي كتاب " حكايات المهجر" للأديب المهجري الكبير" عبد المسيح حداد" كما يتحدث كتاب حكاية مهاجر سوري حين قال:((وكان الباعث الأكبر على المهاجرة اختلال الأحوال الاقتصادية في السلطنة العثمانية، بفساد الحكومة الاستبدادية، حتى تضعضع الأمن و سادت الفوضى، ودرس العلم، وثقلت المعيشة))[3].

أ-2/ الأسباب النفسية و الاجتماعية:

هذا كان حال الناس الذين عاشوا في تلك الفترة من الزمان، وفي هذه البقعة من أرض الشرق الأوسط على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وفي مواجهة بلاد الغرب، وهذا

[1] - عبد الحكيم بلبع، حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية و التطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، 1980م، ص21.

[2] - عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص13-14.

3 – أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د ت، ص287.

يلعب مركز لبنان الجغرافي دورا هاما في تاريخ الهجرة، كما لعب هذا المركز نفسه دوره المعروف في رحلات الفينيقيين وموجات هجرتهم أيضا في العصور القديمة الماضية.

وإذا عرفنا أن لبنان كان من أسبق البلاد الشرقية إلى قبول المبشرين الأجانب بلاد الغرب ممن كانوا يقصدون الشرق لأسباب سياسية أو دينية أو اجتماعية، تتزيا بزي التبشير للغرب ولمبادئ الغرب، فالدور الذي لعبه المبشرين في ترغيب الهجرة و الحث عليها، وتحبيب البلاد الأجنبية إلى نفوس النشء ممن تعلموا في مدارسهم، وممن كانوا دائما في تطلع نحو الحرية و الانطلاق، وكان اليسوعيون قد بدؤوا يؤسسون المدارس التبشيري ة منذ زمن، وسرعان ما انتشرت مدارسهم فأسسوا المستشفيات و الجمعيات الخيرية التي انظم تحت لوائها الكثيرون، وتبعت البعثة اليسوعية البروتستانية التي أنشأت الكليات وفتحت المدارس أيضا، وبعد الاحتلال الفرنسي الذي تلا حوادث التين زادات الاتصالات بين لبنان و الغرب وتفتحت الأذهان في الشرق لتستقبل مبادئ الحرية و الكرامة والعدالة التي نادت بها الثورة الفرنسية، وكان من الطبيعي أن يتعشق هذه المبادئ الشرقيون الذين عانوا من المظالم في مختلف عهود الإقطاعية و الاستبداد، كما كانت ترد إليهم في الوقت نفسه أخبار العالم الجديد وحوادثه بواسطة السياح كما تجدر إليه الإشارة إلى ذلك الدور الكبير الذي لعبته الصحافة في التشجيع على الهجرة، بالتحدث عن بلاد الذهب و الغنى و الحرية، كما أن بعض الكتب الأمريكية التي وصفت تلك البلاد وعيشة أهلها قد ترجمت إلى التركية فقرأها " السوريون" وترجموا بعضها إلى اللغة العربية. وأمام كل هذه المغريات وتلك الدوافع لم يجد اللبنانيون ما يمنعهم من ترك بلا دهم غير نادمين على ما فيها من ظلم وقسوة وفقر مدقع وجهل مخيم. هذا بالإضافة إلى ميل اللبنانيي ن إلى الهجرة و المغامرة و استعدادهم الطبيعي لسير أغوار الحياة وحب الكسب وتحسين أحوالهم المادية و المعنوية، فظل اللبنانيون ككل مهاجر من وطن عزيز عليه يحنون إلى بلادهم ويتنسمون أخبارها، وكانوا في الوقت نفسه يرسلون أخبارهم إلى أهلهم وذويهم وخاصة أخبار من اقتنوا الثروات و الأراضي

و العقارات... فكان لهذه الرسائل و الأخبار أثر في تشجيع من لم يهاجر بعد على الشروع في المهاجرة. كما أن أسبابا نفسية هامة كان لها أثر كبير في إنفراد "السوريون"* بهذه الهجرة وهي أسباب الحنين و السلامة و الأصل الفينيقي إلى الهجرة و المخاطرة و ركوب الأهوال في سبيل العيش و الكسب.فهذه أسباب جاذبة حببت المهاجر أرض الغربة بما فيها من رغد العيش و الحرية و الكرامة وهونت عليه ركوب الأخطار وشق أغوار البحار

أ-3/الأسباب التاريخية:

إن هجرة الشعر العربي إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية تشبه هجرة الشعر كذلك إلى بلاد الأندلس في أوائل القرن الثاني الهجري(أوائل السابع ميلادي). فالشعر المهجري صنو الشعر الأندلسي، كلاهما عاشا في بيئة جديدة، وأحداث أثر كبيرا ودويا ضخما في الشعر العربي كله، وكان مدرسة تجديدية كبرى شملت شتى مقومات الشعر العربي وعناصره، وأصوله، وإن اختلفت الهجرتان ((فالهجرة إلى الأندلس كانت في ظلال دولة عربية قوية قامت هناك، و الهجرة إلى العالم الجديد كانت في الذين يعيشون فيه في أرض العالم الجديد، وإن كانت قيمة الشعر المهجري تكاد تعادل قيمة الشعر الأندلسي، ثراء وشمولا وتجديدا))[1] فإن السوري و اللبناني مولعان من قديم وحب السعي في الأرض و الاغتراب وركوب البحار وحب العمل و التجارة وهما من سلالة الفنيقيين و القدماء الذين ركبوا البحار و جابوا البلاد وأنشؤوا لهم المستعمرات على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في شمال إفريقيا وقرطاجنة في تونس حديثها مشهور، وتاريخها تاريخ نشاطها معروف. كما يضاف أيضا عامل أخر هو سهولة الهجرة إلى بلاد النائية، فلم يكن هناك قيود على الهجرة و المهاجرين إليها، وليس هناك في قوانينها ما يفيد حرية المهاجر في اختيار العمل الذي يريده وفي شق طريق الحياة بالوسائل التي يختارها، وفرص الغنى والثراء كانت في هذه البلاد" المهاجر" البعيدة كثيرا و

* – القصد بالسوريين(لبنان، فلسطين، سوريا)، حيث كانت تضمها قبل التقسيم الذي حدث عقب ح ع 1.

1 – عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية مصر، د ت، ص174-175.

مواتية فأرضها فسيحة، و السكان قليلون وشتى مرافق الصناعة و التجارة و الزراعة فيها في حاجة شديدة إلى الأيدي العاملة الكثيرة. فنرى كل هذه الأسباب مجتمعة من ضغط سياسي ديني، وضغط اقتصادي وتأثير المبشرين الأجانب وغيرها من الأسباب، يكلل كل ذلك ميل طبيعي نفسي عند اللبنانيين إلى الهجرة و المخاطرة إلا أن المراحل الأولى من اغترابهم كانت قاسية حيث كافحوا وجاهدوا في سبيل وضع أفضل وعيش أجمل وحال أكمل، وقد كان شعار كل منهم " بدوى الجبل":

و العيش معناه الكفاح فهالك من لم يكافح[1]

وهجرة المغتربين العرب إلى أمريكا، ووطابهم فارغ وجيوبهم مثقوبة وهم غرباء عن اللغة و البيئة و التقاليد، ثم هيمنتهم بعد ذلك ونجاحهم المنقطع النظير، أكبر برهان على ما يكمن في نفس العربي من قوة حافزة وحيوية متوثبة.

ب- الهجرة الأحداث والنتائج

ب-1/ أحداثها:

من المعروف أن القارة الأمريكية قد بدأت تجذب أنظار السوريين خاصة اللبنانيين في نصف التاسع عشر، وأن الهجرة اللبنانية إلى العالم الجديد قد بدأت بأفراد قليلين ثم مازالت تنمو حتى جذبت العائلات و الجماعات وزادت زيادة عظمى أواخر القرن الماضي، حيث بلغ عدد المهاجرين في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ستين ألفا وبعدها ضيقت الحكومة الأمريكية قانون الهجرة وضيقت به الهجرة السورية إلى حد بعيد، لتتوالى بعد ذلك قوافل المغتربين إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية عام 1865[2]

وكانت لهذه الهجرة أسبابا قاهرة دفعتهم لترك بلادهم منها الظروف الصعبة من طغيان وفقر وجهل... كما سبق أن أشرنا إليه في السابق.

1 - الموقع،www:ARABVISTA,COM

2 - الموقع نفسه.

وفي الفترة الأخيرة تغيرت وجهة الهجرة التي كانت تتجه إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية وإفريقيا غلى استراليا و الصين و اليابان وألاسكا... وبالرجوع إلى كتابات من حاوالو تاريخ الهجرة السورية إلى العالم الجديد نجدهم يختلفون في من كان " كولومبس" السورين أي من هاجر إلى الديار الأمريكية أولا؟ ولو اختلفوا فنجد أن معظمهم يرون:((أن أول مهاجر عربي هو انطوان البشعلاني اللبناني الذي هاجر إلى أمريكا الشمالية وأقام في نيويورك عام 1854 ومات فيها)) [1]. ليتبعه بعد ذلك أفواج من المهاجرين السوريين، وكان بعض المهاجرين من الأدباء وأخذوا يعبرون عن مشاعرهم بالشعر و النثر، وأقدم أديب هاجر هو ميخائيل رستم و الد أسعد رستم الذي كان فيما بعد من شعراء الرابطة القلمية في الولايات المتحدة وقد تكاثر عدد المهاجرين بعد الثورة العربية ومن أوائل الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا الشاعر" ندرة حداد" (1881- 1950) ليكون بعد ذلك من أعلام الشعراء الرابطة القلمية فيما بعد. وتبعه " رشيد أيوب" وهاجر كذلك " نسيب عريضة"، وفي هذه الديار ترعرع أبو الأدب المهجري " أمين الريحاني" كما ترعرع فيها أيضا عميد أدباء المهجر " جبران خليل جبران" وهو عميد الرابطة القلمية في الولايات المتحدة الأمريكية ثم هاجر " عبد المسيح حداد" و" ميخائيل نعيمة" أما أول أسرة دخلت الولايات المتحدة الأمريكية من دمشق وبالضبط من " أل عريبلي" وعائلها " يوسف عريبلي" للاستيطان في العالم الجديد عام 1887، ثم تبعتها جماعات أخرى. أول المهاجرون سكنوا في شارع" واشنتون" وهو إحدى الأحياء الفقيرة في نيويورك ولعل المعرض الذي أقيم في شيكاغو عام 1893 أحد حوافز للازدياد تلك الهجرة:((إذ أن كثيرين جاءوا يقصد عرض بعض البضائع الشرقية))[2].

فهكذا هاجر العديد من السوريين إلى أرض غير أرضهم وبيئة تختلف عنهم في تقاليده هؤلاء في تلك البلاد من أجل تحسين ظروفهم و العمل وفرض أنفسهم في شتى المجالات حيث أنه في كولومبيا (أمريكا الجنوبية) أقدم مدينة تحمل أسم قرطاجة الفينقيين القدماء في

1 – عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،ص24.

2 – نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، ص56.

الشمال الإفريقي. فكان لابد للمهاجرين الأولين أن يعملوا بكد وجد وكانت حرفهم عندئذ مقتصرة على التجوال في الشوارع لبيع الأمواس وأدوات الخياطة و الأزرار، ثم تاجروا فيما جلبوه من الأراضي المقدسة من تحف كالصلبان و المسابح وأقلام الكتابة المصنوعة من خشب الزيتون، بل أنهم باعوا مصنوعات من الشام من الزجيلات إلى الأدوات النحاسية إلى البقلاوة الشامية، ولم يقتصر تجوالهم على القرية الواحدة، بل تعدوها إلى القرى الأخرى وقد أطلق البعض على هذه المرحلة من حياة المهاجرين السوريين (المرحلة الرومنطيقية) بما رفقها من نوادر وأخبار تدل على ما عاناه المهاجرين في تلك الدور من الدوار هجرتهم، ولا عجب فكثيرون عملوا في أعمال حقيرة، وتلى هذه المرحلة مرحلة أخرى بدأت أوائل هذا القرن، فلقد جابوا الأسواق وتعرفوا حاجاتها وأفادوا من التجربة، فبدا السوريون ينتعشون ماليا واجتماعيا ونفسيا إذ أسسوا المحال التجارية فكان لهم في تقدمها السهم الأوفر ولم يفتهم العمل في غيرها من أصناف التجارة الأخرى. ثم بدأت مرحلة ثالثة في حياتهم حيث عملت عدة عوامل على إجبارهم على التوطن وإخضاعهم للأمر الواقع، فقد تقلص الشعور بالحنين إلي البلاد الأصلية– بعد اليأس من صالح الحال– فقامت الصلات الودية حين ألفوا الوطن الجديد وعائلية أحيانا أخرى فأخذوا يندمجون في الحياة الأمريكية بعد أن قبل معظمهم جنسية البلاد وصاروا من أصحاب الأملاك و العقارا ت واشتركوا في ميادين الحياة الأمريكية وأظهروا مقدرتهم على مجاراة غيرهم حتى صارت لهم شهرة واسعة في بعض الأعمال التي اختصوا بها مثل البقالة التي أسسوا لها فروع مختلفة في المدن والقرى، لينتقلوا من الأحياء الفقيرة التي لجئوا إليها أول هجرتهم فغزوا أهم شوارع نيويورك وكثرت بذلك جاليتهم في مختلف المدن المدن الكبرى الأمريكية.

ولم يقتصر نجاح السوريين المهاجرين على الحياة المادية وحدها، بل عم نجاحهم كل ميدان طرقوه وكل طريق سلكوه، ففي ميدان العلم نبغ منهم كثيرون ظهر منهم الأطباء و المحامون و الصيادلة و الكيمياويون والمهندسون و الموسيقيون و العلماء الممتازون بل أن منهم من تولى كرسي الأستاذية في بعض جامعات العالم الجديد من أمثال"د/فيليب حتى" أستاذ

التاريخ العربي بجامعة" برنستون" و الذي يعود إليه الفضل في تعريف الامريكين بتاريخ العرب عامة والسورية خاصة، أما في ميدان الأدب ظهر أفراد عديدون رفعوا لواء العربية في بلاد الغرب وأعلوا من شأن بلادهم ولغتهم بين مواطنيهم الجدد هؤلاء الأعلام أمثال: أمين الريحاني، جبران، ونعيمة، أبو ماضي، وعريضة، وغيرهم من الأدباء و الشعراء، ويصف الشاعر القروي رشيد سليم الخوري حالة المغتربين في بداية هجرتهم إلى البلاد الجديدة أين كانوا موضع السخرية فيقول:

كن بينهم رجل الزمان تظل " توركو" محتقر [1]

كما يصف فرحات فقره بهذين البيتين صورة دامية موجعة فيقول:

إني لأحمل ثقل الدهر منتصبا على الجبين وألقى الدهر مبتسما

وليس فقري طفل عمره سنة لكنه توأمي لما نمين نما [2]

ويقول أبوماضي عن المغتربين:

نحن في الأرض تائهون كأنا قوم موسى في الليل الليلاء

ضعفاء محقرون...كأنا من ظلام و الناس من لألأء [3]

وينقسم المهاجرين إلى مجموعتين، مجموعة المهجر الشمالي أي الولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة المهجر الجنوبي خاصة البرازيل، ولكل من الفئتين خصائص ومميزات– منها الأصيل و المكتسب– كما أنها تتفق في مميزات و خصائص أخرى وقد تختلف أحيانا، ظهرت المجموعتين في وقت واحد، وفي فترة متقاربة جدا تبدأ من أوائل القرن العشرين وأسهمت كل منهما في تكوين المدرسة المهجرية الأدبية وتركت كل منها أثرها فيها...

- **المهجر الشمالي:** الحياة الغربية في نيويورك ضغطت عليها الحياة الصناعية في المدينة الكبيرة، وتركتها تسكن في أحيائها المهملة وأقبائها العفنة تلتمس رزقها بشق الأنفس

1 – الموقع، www.google.com

2 – عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،ص51.

3 - الموقع، www.google.com

فيكاد الغرب المادي في نيويورك يزهق أنفاس الشرقي الحالم من بين أفراد هذه الجالية فضلا على أنه رأى أحلامه بالثروة و الحياة الرافهة مهدرة بين عينيه، لم يجد سلاما في النفوس و غبطة في المجتمع و لا تعاطفا بين أبناء مدينة تشهدها الواقع المادي من كل أطرافها كما لا يترك للحالمين الذين وفدوا من بلادهم حاملين معهم بذور الرومانتكية سبلا رحبا بين دخان المصانع وضجيج الآلات، فكل شعراء المهجر الشمالي عاشوا فقراء بإستثناء" جبران" رغم أن مهاجري الجنوب إلا أنهم كانوا أبعد أثرا، و أوسع أفاقا وأعمق إحساسا بالإنسانية الأدب و الشعر، فكانوا في أدبهم متحررين من كل تأثير قديم في الفهم و الإنتاج.

ولمعت في المهجر الشمالي أسماء: جبران، نعيمة، أبو ماضي، عريضة، ندرة حداد، رشيد أيوب، وليم كاتفليس... انتشر أدبهم من شعر ونثر فكان يمتاز بالحيوية المدهشة و الفنون الجديدة، كما اتبعوا المنهج الفلسفي في كتابتهم، فترك إنتاجهم الأدبي أثرا كبيرا في حياة الأدب العربي الحديث ومنحه أفاقا جديدة، ضف أنه فتح الطريق أمام المواهب الشرقية للتحرر و التطلع إلى الأمام.

- **المهجر الجنوبي:** إن الذين استوطنوا الجنوب قلما عانوا من الحرمان و الصراع المادي القاسي الذي صدم الشماليين، بل إننا نجد من الشعراء الجنوبيين من هم كبار الأثرياء و السبب أن الحياة الجنوبية " خاصة البرازيل" أقل عناء وسهلة وهينة كما أن الرزق كان ميسور وباب الأمل بالنجاح واسع، ضف إلى ذلك أن الذين استوطنوا البرازيل عاشوا في بيئة طبيعية جميلة فتظاهروا بجمالها، فهذا الشاعر" شكر الله الجر" عبر عن إعجابه بعاصمة البرازيل يقول:((المتفردة بفتنتها، المدلة على عواصم الدنيا بجمالها الطبيعي الساحر... بشواطئها الذهبية وجزرها الرمادية وخلجانها الزرقاء، وقصورها البيضاء الجاثمة كالحمائم بين الشجر.)) [1] وأهم شعراء أمريكا الجنوبية: الشاعر القروي، إلياس فرحات، ميشال معلوف وأبناؤه، فوزي شفيق و رياض، جورج صيدح، شكر الله الجر،

1 – أنيس داود، التجديد في شعر المهجر، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1967م، ص5.

جورج صوايا... وظل الجنوبيين محافظين على اللغة العربية و قواعدها لكن كان بينهم تحرر منها فكان إنتاجهم في غاية القوة و الجمال وكان في أغلبه شعرا باختلاف مواضيعه فأجادوا وتفوقوا فيه حيث ترك دويا في دنيا الضاد، رغم أن أغلب شعراء المهجر الجنوبي كان حظهم من التحصيل العلمي المدرسي ضئيلا إلا أن مواهبهم الفطرية الطبيعية كانت عظيمة ساعدت على نبوغ وذيوع صيتهم.

خلاصة القول فالتقدم الحضاري في أمريكا الشمالية قد أصاب المهاجرين إليها بما يشبه الدهشة و الدوار وجعلهم يحسون أنهم أمام حضارة جديدة عليهم عكس المهاجرين إلى الجنوب فقد كانت البرازيل مثلا تمر بدور حضاري لا يسبق كثيرا الدور الذي كانت تمر به لبنان...

ب-2/ نتائجها(البيئة الثقافية و الأدبية في المهجر):

نقل المهاجرون من العالم العربي الآداب العربية إلى المهاجر الأمريكية في الشمال و الجنوب فبانتقالتهم من أوطانهم انتقلت معهم لغتهم وثقافتها وتراثها وآدابها، و الأديب العربي الذي فارق وطنه وعاش في أرض العالم الجديد، لا يمكنه أن يتخلى عن موهبته، كما لا يمكن للنسر أن يترك التحليق في الأجواء، وهكذا فبعد أن استرجعوا من أعباء السفر ومشقة الهجرة، واستقروا في حياتهم الجديدة بعض الاستقرار، بدأوا يكتبون الأدب، وينشئون النثر، وينظمون الشعر، وأخذت تظهر بوادر الحياة الأدبية و الثقافية في المهاجر بين المهاجرين.

ولقد أذكى ظهور الأدب المهجري عوامل كثيرة منها: الجماعات الأدبية، النوادي و الندوات، و الصحافة، و الطباعة، وسنتحدث عن كل ذلك بشيء من التفصيل.

ب-2-1/ النوادي و الندوات الأدبية في المهجر:

* **النوادي:** أنشا الأدباء المهاجرون العديد من النوادي في المهجر الأمريكي الشمالي و الجنوبي، وقد ساهمت هذه النوادي في إشعال الحركة الأدبية هناك، وفي خلق الكثير من المواهب الأدبية الفنية، وفي توجيه الأدب المهجري توجيها فعالا، وفي كل مدينة كبيرة نزل فيها المهاجرون كانوا يشكلون جالية عربية لها جمعياتها وصحافتها و نواديها الأدبية وقد وصف الشاعر القروي البيئة الأدبية في سان باولو فيقول:((كانت هناك جالية لها أندية وجمعيات وصحافة، وكانت تقيم الحفلات بكثرة... وكانوا يدعونني لأقول شيئا من الشعر... وأن ذلك هو أول عهدي بالجهاد الأدبي في سان باولو...)) [1]. ومن النوادي في المهجر الجنوبي: نادي الرابطة الوطنية السورية- نادي جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية وهما بسان باولو_ النادي الجمعي في سان باولو بالبرازيل أنشا عام 1920، وتتسع قاعته لأكثر من ثلاثة ألاف كرسي فضلا عن أبهائه الواسعة، وغرفة المتعددة، وصالوناته الفخمة، وتقام في الحفلات الضخمة يتكون مجلس إدارته من أثنى عشر عضوا. وينتخب من بين أعضائه أدبيا بارزا يطلق عليه إسم خطيب النادي ومن أشهر خطبائه: نظير زيتون وله كتاب الشعلة- وكذا النادي الرياضي السوري سان باولو، وهو من أكبر الأندية الرياضية – والنادي الحلبي بسان باولو دشنه فؤاد الشائب سنة 1958 حين زيارته البرازيل مع الوفد الذي كان يرأسه السيد صلاح الدين البيطار.- وجامع سان باولو ولقد تظافرت أيدي المخلفين على بنائه مقيمين و مغتربين- والنادي العربي في بينوس إيرس عاصمة الأرجنتين تشرف عليه نخبة مختارة من الشباب المخلصين.

* **الندوات:** كان المهجريون طالما يعقدون الندوات الأدبية في كل مكان ينشدون فيها روائع الشعر، ومأثورات الخطب، وساحر البيان، وكانت هذه الندوات تعقد في دور المطابع و الصحف العربية و في المحافل العامة وفي النوادي الأدبية و الجمعيات العربية و

1 – عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص108 .

الإسلامية العديدة المنتشرة في كل مكان وفي منازل الأدباء وفي مواطن سمرهم و لهوهم وفي كل مكان. وكانت هذه الندوات بمثابة أسواق أدبية رفيعة تشارك في تهذيب لغة المهجريين، وفي ازدهار أدبهم، وكان الشباب المهاجر يتعلم من شيخه حب العربية وتذوقها ومواهب الأدب وملكات الشعر... وكانت تقام تلك الندوات في مختلف المناسبات الأدبية و الدينية و الاجتماعية...إلخ، ففي عام 1930 أقيم مهرجان أدبي كبير للمتنبي في سان باولو ومن الندوات الأدبية المشهورة في المهجر الجنوبي ندوة رواق المعرى *[1] التي أنشائها عام 1900 الشاعر قيصر المعلوف وله ترجمة لرباعيات الخيام وهي ترجمة شعرية وعدد دواوين مطبوعة. وتوقف نشاط هذه الندوة في أوائل الحرب العالمية الأولى وكذا ندوة الأدب العربي في عاصمة الأرجنتين **[2].

ب-2-2/ الصحافة و المطابع العربية في المهجر:

* **الصحافة:** أسس بعض المهاجرين الأولين صحفا ومجلات عربية تنشر أخبارهم في المهجر وتنشر أدبهم وشعرهم، وقد لعبت هذه الصحف دورا هاما في الجانب السياسي و الثقافي و الأدبي حيث كان لها الفضل في تعريف بأدباء المهجر وشعرائهم وأول صحيفة ظهرت في المهجر الأمريكي هي: - كوكب أمريكا عام 1892 التي أصدرها ابرهيم ونجيب عربيلي- جريدة الهدى التي أسسها ذنعوم مكرزل عام 1898 وبعد عام أسس نجيب موسى دياب جريدة مرآة الغرب في عام 1899. ومن أشهر الجرائد العربية أيضا جريدة السائح التي تأسست في مدينة نيويورك عام 1912 وقد كانت ميدانا لأعضاء الرابطة القلمية وغيرهم. وأسس الأديبان المهجريان سليمان بدور، عباس ابوشقرأ جريدة البيان النيويوركية عام 1911، كما ظهرت جريدة في لبنان اليومية في سان باولو وجريدة يقظة العرب 1919 أصدرها جورج صويا في الأرجنتين. ونشير هذا أيضا إلى بعض أسماء الصحف الأخرى التي صدرت هناك مثل جريدة الدليل والمهاجر و الإصلاح و الأيام و العصر و الأخلاق و

* – منها الساعي الأدبية العربية بالبرازيل، ومنها نادي الأرز الرابطة الأدبية الفنية.
** – يذكر صيدح أنّ مؤسسها هو لغوم لبكى وأنّها انتهت بعد الحرب العالمية الأولى، ذكرها إلياس قنصل في كتابه أدب المغتربين، وذكر أنّها قامت في سان باولو وصدّ عنها ديوان تذكار المهاجر لقيصر المعلوف.

الشعب و البستان وغيرها من الصحف و المجلات التي كانت حافلة بأدب المهاجرين فياضة بألوان من شعرهم ونثرهم.

* **المطابع:** أنشا المهجريون العديد من المطابع العربية لكي تكون وسيلتهم إلى الحياة، وإلى الأدب معا. ومن المطابع التي قامت في المهجر نذكر" مطبعة الأتلانتيك" أسسها نسيب عريضة عام 1912 ومطبعة جريدة السائح ومطبعة جريدة الهدى ومطبعة مرآة الغرب في نيويورك طبع فيها ديوان الجداول لإيلي ا أبو ماضي عام 1927. وكذلك مطبعة جريدة السمير التي أنشأها أبو ماضي وكانت من أحدث المطابع. وغيرها من المطابع التي أنشائها المهاجريون في مدن الشمال و الجنوب من أرض العالم الجديد، والتي كانت ذات أثر كبير في النهضة العربية وازدهار الأدب في هذه الربوع النائية البعيدة عن أرض العروبة ولغتها وأدبها.

ب-2-3/ الجماعات الأدبية:

ومن أشهر هذه الجماعات الأدبية التي أنشائها أدباء المهجر، وأهمها أثرا وتوجيها للحركة الأدبية في المهجر ما يلي:

* **الرابطة القلمية:** وأنشئت هذه الرابطة في نيويورك في 20 من نيسان " أفريل" عام 1920 وكان إلى حمل عبء الدعوة إلى تأسيسها هو " عبد المسيح حداد" مؤلف كتابات" حكايت المهجر" وكان من الداعين كذلك إليها جبران خليل جبران وكان من أعلامها : ميخائيل نعيمة و نسيب عريضة ونعمة الحجاج، إليا أبو ماضي ورشيد أيوب، ندرة حداد، نعمة أيوب... وسواهم تولى رئاستها " جبران" وكان " ميخائيل نعيمة" مستشارها، وأصدرت الرابطة مجموعة أدبية دورية باسمها أسهم في تحريرها " رشيد أيوب" [1] وقد طبعت " مجموعة الرابطة القلمية" في نيويورك ثم بيروت وقد أنضم إلى هذا الجو الأدبي فيما بعد الشاعر المصري الكبير الدكتور" أحمد زكي أبو شادي" بعد هجرته وقد أصبحت جديدة" السائح"

1 – عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر العربي الحديث، ص177.

لسانها الناطق وصوتها المدوي، وكان هدفهم هو الخروج بالأدب العربي من دور الجمود و التقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب و المعاني وقد وجه " جبران الرابطة و شعرائها نحو الرومانسية المجنحة وامتد تأثيره إلى الشرق العربي، بشعره الموزون وشعره المنثور...ومثلت الرابطة نزعات في الأدب و الشعر.

لقد انتشرت مبادئها وشاعت كتابات عمالها في جميع البلاد الناطقة بالضاد، و الفضل في ذلك لعمالها أنفسهم الذين تعانوا فيما بينهم ما جعل النجاح حليفهم في كل عمل قاموا به، وقد انتهى نشاط الرابطة بعد موت عميدها " جبران" في أفريل عام 1931 فكان حزنهم عليه عظيما.

***العصبة الأندلسية** : قامت هذه الجامعة الأدبية في المهجر الأمريكي الجنوبي، في البرازيل في سان باولو عام 1922، كان المؤسس لها هو الشاعر المهجري " ميشال معلوف"[1] وتولى رئاستها، ثم خلفه الشاعر " القروي" ثم رأسها من بعده أبن أخته" شفيق معلوف" صاحب ديوان " لكل زهرة عبير" ويشير إسم "العصبة الأندلسية " إلى مدى تأثير المهجرين بالأدب الأندلسي، وخاصة بالروح الغنائي، و الموسيقى و العذوبة الفنية في الموشحات التي بلغت نهاية الترف و الجمال. وكان من أهدافها رفع شتات الأدب العربي في البرازيل وإحياء التراث العربي في الأندلس. وانتهى نشاطها كذلك عام 1953 ومن شعرائها: الشاعر القروي، إلياس فرحات، شكر الله الجر، المعلوف، توفيق ضغون، نظير زيتون، حبيب مسعود...

***رابطة منيرفا:** وهي مدرسة أدبية لم تمكث غير مدة قليلة، وقد أسسها الشاعر المصري " الدكتور أبو شادي"[2] عام 1948 في نيويورك وكان هو رئيسها ونائبها الشاعر المهجري " عبد المسيح شداد" وكانت هذه الرابطة تعقد شهريا في جامعة " كولومبيا" بنيويورك. وتحتفي

1 – عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص91.

2 – المرجع نفسه، ص 106.

بالألوان الأصلية من الأدب و الشعر، وقد أسهم فيها بجهد كبير الشاعر " نعمة الله الحاد" كما يقول" صيدح" في كتابه " أدبنا و أدباؤنا".

***الرابطة الأدبية:** أنشئت هذه الرابطة في عاصمة الأرجنتين عام 1949[1] ثم اختفت بعد عامين. وقد أنشائها " صيدح" وقد عجلت عودة" صيدح" إلى وطنه بنهاية هذه الرابطة ومن أعضائها: صيد؛، عبد الطيف الخشن،زكي قنعل، وسواهم.

***جامعة القلم سان باولو:** لم يعرف عنها الكثير[2]

ثانيا: الأدب المهجري

أ- المؤثرات العامة للأدب المهجري:

تأثر الأدب المهجري ككل أدب بمؤثرات كثيرة أكسبته طابعة خاص، المستقلة وشخصيته المتميزة عن غيره، وبهذه المؤثرات ظهر كنبع أصيل من ينابع ثرية، أمدت الأدب العربي طوال عصوره بالنماء، وكتيار دافع من تياراته التي تؤثر حركتها في تطوره ونهضته و حيويته. وأولى هذه المؤثرات إلي أثرات في الأدب المهجري في حركة التجديد في الأدب المعاصر، التي تمثلت في الطابع الرومنسي عند المنفلوطي، وطه حسين، و الزيات، وفي الكلاسيكية الجديدة عند البارودي، و أحمد شوقي، وحافظ و أضربهم، ثم في مدرسة مطران التجديدية الرومانسية في الشعر العربي المعاصر، ولعل رومانسية الشعر المهجري مستوحاة في بدايتها من هذه المدارس الشعرية في الشرق العربي خاصة مدرسة مطران، وأبولو، وشعراء الديوان، ولكن المهاجرين سرعان ما استوحوا بيئتهم، وصبغت حياتهم وروحهم وثقافتهم بصبغة جديدة، فاستقل الشعراء المهجريون بكل شيء تحت تأثير البيئة الأمريكية وأظهر مثلا لذلك"أبو ماضي" فشعره الأول في مصر غير شعره الأخير الذي نظمه بعد استيعابه لتيارات الفكر الأمريكي. التي تلائم ذوقه و ثقافته لا يزال يؤثر الموسيقى على عمق المعاني، إن الأديب التأثر المهجري قد أمعن النظر في الثقافة العربية، وعرف

1 – عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،107.

2 – المرجع نفسه، ص107.

كيف يستفيد منها بعد هضمها في لغاتها الأصلية، وذلك واضح كل الوضوح في أثر بعض المهجريين. ويقول" صيدح" : إن الأدب المهجري طبعت شمس الغرب ألوانها على أوراقها أما لبه فيحيا على إشعاع الشرق، وقلبه يختلج بنسمات الصحراء. وقد جعل صيدح الموهبة الفطرية هي مفتاح السر في تفوق أدب المهجر، مع الجد و الاجتهاد، و التأمل العميق،ويعد قلة من المهاجريين من كانوا يعرفون لغات أجنبية، أما الكثرة من أدباء المهجر فكانت ثقافتهم سطحية عادية فحركة البعث الأدبي الأمريكي التي تأثر بها الشعراء المهجريون التي كانت متجاوبة مع حركة الآداب الأوربية في نموها و ازدهارها وكثرة مدارسها ومذاهبها المختلفة، ولقد عرف أدباء المهجر كيف يستوعبون الروح الأمريكي بجميع خصائصه البديعة، وإذا كان هذا الأدب في روحه يعد بمثابة أدب أمريكي معبر عنه باللغة العربية،فإن موضوعاته شرقية غربية معا، و روحانية كذلك فالأدب العربي في المهجر يصوغ لنا تجارب اتصال العقل بالحضارة الأمريكية هذا الاتصال القوي، ويضع أيدينا على إثر هذا الاتصال مباشرة، وينقل إلينا الكثير من التأثيرات المختلفة بأدب الغرب و حضارته. لقد تأثر الأدب المهجري إلى درجة محسوسة بالبيئة الأمريكية الحرة،((فهو مزيج من الواقعية و الرومانسية، و الرمزية، و السريالية، وغيرها، وإن كان للواقعية فيه نصيب من موفور)) [1].

وتأثر الأدب المهجري كذلك بكل ما حوله، وتناول الحياة بكل ما تعنيه، تناولها في القصص، وفي المقالة، و في النقد، وفي الفن، وفي المسرح، وفي الشعر، وفي كل جوانب الأدب وفنونه.

ولم يقطع الأدب المهجري صلته بالشرق أو العروبة أو الإسلام، فجميعها مؤثرة فيه من النواحي الفكرية و العاطفية غالبا وتشمل الوطن و السياسة و الدين، فتفكير الأديب المهجري عامة تفكير مزدوج، شطر منه يخص مهجره، و الشطر الأخر يخص وطنه الأصلي، وهو يوحد بينهما، فمن جهة نراه استوعب مسائل محيطة الراقي و يتفاعل معها تفاعلا واقعيا

1 – الموقع www.google.com

وعاطفيا معا، فإنما بذلك أي غنم ومغنيا أدبنا المعاصر الذي يتلقى تفكيره من جهة ومن جهة أخرى نراه على البعد لايكتفي بحنينه الجياش إلى وطنه الأصلي، بل يسهم في معالجة شتى مشكلات ذلك الوطن.

ب- الأدب المهجري فنونه ورأي النقاد فيه:

لقد كتب المهجريون القصيدة، و الملحمة، كما كتبوا: المقالة، و القصة، والرواية، و الترجمة الذاتية و النقد، وقد طرق النثر المهجري أفاقا متعددة ومسالك مختلفة وألوانا شتى في فلسفة الحياة و الحب و الجمال في المضمون الاجتماعي و الوطني و الإنساني، ونجده قد أثرى بفنون النثر المتعددة من مقالة و مسرحية وقصص وأمثال ونقد، وبحث أدبي. كما عنى المهجريون بالترجمة من العربية إليها. وهناك العديد من الشعراء، ممن كتب الملحمة منهم شفيق المعلوف صاحب ملحمة" عبقر" وفوزي المعلوف صاحب ملحمة" على بساط الريح" وظهر في النقد " الغربال" لـ" نعيمة"و " المنقار الأحمر" لـ" شكر الله الجر" أما كتاب المقالة منهم" جبران"،" ونعيمة"و " عبد المسيح حداد"و" أبو شادي" وغيرهم .

أما القصة في الأدب المهجري فقد كتب المهجريون قصصا كثيرة، إذ عنوا بهذا الفن عناية كبيرة لأهميته في الآداب العالمية، ولي أنه مجال خصب لمواهب الأدباء ولنقد الحياة ووصفها معا و الآثار القصصية في الأدب المهجريين عديدة: فلعبد المسيح حداد، كتاب قصص عنوانه" حكايات من المهجر" ولنسيب عريضة قصتان مشهورتان هما قصة" ديك الجن الحمصي" وقصة" الصمصامة" كما عنى " جبران" بالقصة و الأقصوصة في أدبه عناية بالغة فصدرات له قصة" الأجنحة المتكسرة" و " العاصفة" و " الأرواح المتمردة" و " عرائس المروج"،و" لأمين الريحاني" قصتين" زنبقة النور" و " خارج الحريم" و لمخائيل نعيمة " النور و الديجور" وغيرها من القصص و الأقاصيص.

أما الرواية فقد أعتني الأدباء المهجريون خاصة في الشمال عناية كبيرة بفن الرواية وأثار كثيرة فيه فلنعيمة " الآباء و البنون" ولأنعون شكور روايته" من المهد إلى اللحد" ولنظير

زيتون رواية" ذنوب الآباء" ويقول إسماعيل أدهم في كتابه عن توفيق الحكيم:((مدرسة المهجر أول مدرسة قوية في الأدب العربي، نجحت في تقديم أروع الأدب الحديث من القصص و الأقصيص و المسرحيات))[1]

أما الشعر المنثور هو لون من النثر أو من الشعر لا وزن و لا قافية ولكن خيال و تصوير وقدرة فنية بارعة ويسميه بعض الأدباء شعرا حرا وقد أبدع فيه طائفة من شعراء المهجر بوجه الخصوص، وفي مقدمتهم الريحاني و جبران، ومن المنثور للريحاني في رثاء فتاة ماتت غرقا.

أيتها الساكنة قعر النهر الفضي

أيتها الراقدة تحت الأمواج الغربية

أنت أميرة اللؤلؤ و اللؤلؤ يلاقيك مرحا[2]

أما فيما يخص القصة الشعرية المهجرية التي لم يعط الأدباء و النقاد الذين تناولوا المهجري بالدراسة فن القصة الشعرية حقه ولكن الفاحص المتأني سيرى أن القصة الشعرية قد شغلت حيزا ليس بالبسيط في أدبهم، وقد طبقوا عليها القواعد الفنية و أول ما يلفت النظر هو أنهم سجلوا في قصصهم الشعرية الخطوات الأولى في إغترابهم من مواطنهم الأصلية إلى موطنهم الجديد، فقد صور " أسعد رستم" وهو يودع أسرته متجها إلى المهجر:

فقام يطلب رزقا حيث يطلبه إخوته بالعناء و الجد و السهد

ثم تلحقه زوجته بدون طفلها الذي مات في الطريق

وبعد أن سأل الأم الحزينة عن حال الصغير أسى دقت يدا بيدا

وجاوبته ودمع العين يسبقها الطفل قد نام لكن نومه الأبدي[3]

1 – عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص182.

2 - المرجع نفسه، ص182.

3 – مجلة هنا لندن، عالم الأدب، بقلم فهمي حرب، أذيع في يوم 16-02-1973،ص08.

ويبدو أن " رستم" كان يحاول سرد هذه الأحداث المؤلمة بالنسبة لمهاجرين، كما في قصة أخرى عن منكودة الحظ" الكسندرا يوسف"... وكذلك استوحى " نسيب عريضة" قصة مصرع " أبي فراس الحمداني" من تاريخ العربي...و " أبو ماضي" فارس هذا النوع بلا جدال طرق القصص الرمزي ليعالج به أمراض مجتمعه كما في " الحجر الصغير" كما أبدع آخرون في هذا النوع.

هذه أهم الفنون التي اهتم بها الأدباء المهجريون الذين كتبوا في شتى هذه الفنون، إضافة إلى الشعر الذي أبدع فيه الشعراء وسنتحدث عنه في مبحث خاص.

لقد أفاد الأدب المهجري الأدب العربي وضوح أثر، و قوة التحديد، وعرف هذا الأدب في جملته بالاتجاه العاطفي، و بالتحرر من القيود، وقد تأثر المهجريون بطاغور و الخيام فجاء أدبهم مزيجا من الصوفية و الرواقية، فيه الشرق و الغرب، أمريكا ولبنان و سوريا، و النزعة الرومانسية واضحة فيه كل الوضوح– وقد نقد هذا الأدب" عزيز اباضة" بأنه لم يجدد شيئا ولم يصنف للأدب العربي جديدا، ولم يتعاط شعراء المهجر الشعر التمثيلي، وإنما وجهوا طاقاتهم الفنية إلى الأبتداع في النثر– وينهوه الدكتور محمد مندور بالأدب المهجري ذاهبا إلى أنه فيه الخير ما في الشرق، فيه تلك الموسيقى الرتيبة، التي تميز إحساسنا الشرقي – ويذكر الشاعر جورج صيدح التجديد الذي قام به المهجريون أنه كان في الموضوعات و الفكرة، وقد انعكس هذا التجديد في الأساليب وهم لم يخرجوا على البحور بل وصلوا رسالة الأندلسيين فنوعوا الموشحات وحملوها الفكر العميق، وقد خلقوا الحوار في الشعر.

فكتب إيليا أبو ماضي المسرحيات، الملاحم، و المطولات كما كتب فوزي المعلوف ملحمة على بساط الريح وميزتهم أنهم بعثوا الحياة في الكلمة أو أنهم واقعيون لم ينفصلوا عن

حياة المجتمع- ودافع العقاد عن الأدب المهجري فقال:((إنه ثمرة أربعين سنة وأنه ثروة وربح للغة العربية))[1]

ويرى الدكتور أبو شادي أن الأدب المهجري لم يقطع صلته بالشرق و العروبة و الإسلام كجميعها مؤثر عليه من النواحي العاطفية غالبا وهذه تشمل الوطن و الدين و السياسة وأبرز ملامح الأدب المهجري عنده هو حريته وثقافته وإنسانيته، وهو مزيج من الواقعية و الرومانسية و الرمزية والسريالية، فهو يرى أنه أدب حياة وقوة بحكم البيئة الجديدة التي غرس فيها، صحيح أنه في أدبه بمثابة أدب أمريكي معبر عنه بالغة العربية،لكن موضوعاته شرقية وغربية معا، وروحانية الشرق ظاهرة فيه- ويقول أنور الجندي عن المهجري أنه ثورة على الحياة على التقاليد و اللغة و الفن الجميل، وهو الأدب الذي يقول إن الدودة أخت لنا والغراب ابن عمنا، الأدب الذي تغلب الصورة المرسومة فيه على العاطفة و اللوحات المؤلفة على الخاطر، ويعتمد الظلال و الأنوار و الضباب، وقوس قزح فهو يمثل مدرسة الترف الذهني- ويأخذ صلاح لبكي الأديب اللبناني على شعراء المهجر العيوب الآتية:

1. حمال المرأة ظل غائبا على المهجريين(الشعراء) بإستثناء جبران.
2. عنوا بالصورة الشعرية، أي بالفظة التي تتجسد في صورة ملموسة وأهملوا المعنى.
3. الشاعر المهجري يهمس ويفسر ويوضح، ولكنه لا يومئ و لا يوحي.
4. الشاعر المهجري يضحي بالمبنى من أجل سلامة المعنى.
5. الضعف اللغوي الملحوظ عن الشاعر المهجري، مما يؤدي أحيانا إلى مستوى النثر الرديء.

وقد تحدث الدكتور ياسين الأيوبي عن الأدب المهجري في مقال له مشيدا على الدور الذي قام به الأدباء والشعراء المهجريون، على أن معظم هؤلاء حافظوا على اللغة العربية،

1 - الموقع www.google.com

وأن اللغة ليست لغة تعبير وكتابة وحسب، وإنما هي رمز الانتماء القومي العربي الذي يفجر به أدباء المهجر ويناضلون في سبيل رفع لوائها قرونا طويلة، وقد قال الشاعر المهجري" رياض المعلوف" في هذا الشأن:((الدوافع التي دفعتني إلى إنتاج بالعربية، هي أنني ممن يفاخرون بلغتهم و أصلهم شخصيا و قوميا و أدبيا...))[1]

وبذلك فقد عبروا عن مجالاتهم الفكرية و الوجدانية بلغتهم التي لم ينسوها ولم يقطعوا صلتهم بها بل ظلوا يعتنقونها، كأنها الكتاب المقدس الذي حملوه في حقائبهم. ويقول:" شوقي الضيف" عن الشعر المهجري أنه من يرجع إلى ما خلفوه من شعر نلاحظ أنهم فكوا عن شعرنا كثيرا من القيود التي كان يرزخ تحتها و التي كانت تشغله، فقد كان شعراء العرب حتى القرن الماضي ما يزالون يرجون في أعقاب أسلافهم، فهم لا يفهمون الشعر إلا على انه ألوان من الملف يقال في المدح، وليس وراء ذلك إلا صور من التكلف المقيت، ولم يلبث شعراء المهاجر الأمريكي أن ساهموا في هذه النهضة المباركة لشعرنا، وسرعان ما أرسلوه ثورة مدوية على رسومنا العتيقة وتقاليدنا البالية. ونطق بهذه الثورة على القديم" إيليا أبو ماضي" في فاتحة ديوانه" الجداول" إذ يقول:

لست مني إن حسبت الشعر ألفاظا ووزنا

خالفت دربك دربي وانقضى ما كان منا

فانطلق عني لتلا تقتني هما وحزنا[2]

ثالثا: خصائص الشعر المهجري

يمثل الشعر تيارا واضح المعالم ظهر في المهجر ثم تأثر به الشعر العربي المعاصر في أنحاء العالم العربي. وقد تميزا هذا الشعر بميزات تختلف عن الشعر القديم سواء في شكل أو المضمون.

1 – الطليعة الأدبية، مجلة تصدر عن وزارة الثقافة و الإعلام، دار الجاحظ، العدد3،د ت، ص123 .

2- شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، دت، ص247-248.

أ- التجديد في الشكل

أ-1/ التجديد في الأوزان:

خرج شعراء المهجر عن رتابة الأوزان الخليلية المعروفة، وبالتالي فهم يميلون إلى استعمال البحور القصيرة أو المجزوءة التفاصيل،وأكثر شعراء المهجر معجبين بالوسيح من أوزان الشعراء و الموشحات قديمة وجدت منذ وجد الأدب العربي في بلاد الأندلس، فنظر الشعراء المهجريون في هذه الموشحات فوجدوها طريقة بين الأوزان الشعرية مستحدثة بالنسبة لتلك الأوزان القديمة الشائعة فمالوا إلى استعمالها. ومثال ذلك قطعة لجبران " بالله يا قلبي" يقول فيها:

بالله يا قلبي أكتم هوالك

وأخلف الذي تشكوه عمن يراك تغنم

من باح بالأسرار

بمثابة الأحمق

فالصمت و الكتمان

أحرى بمن يعشق

بالله يا قلبي إذا أتاك

مستعلم يسأل عما دهاك فاكتم[1]

ولم يكتف شعراء المهجر بتقليد الموشحات الأندلسية بل جددوا هم الآخرون في أوزان هذه الموشحات وفي بحورها المختلفة، هذا مثلا أشيد أيوب ينظم موشحة في الحنين بعنوان "خلياني" يقول:

يا خليلي إذا شط المزار بفؤاد ماله غير الزفير

[1] - نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، ص250.

ودمي ودمعي لدى ذكر الديار خلياني[1]

فهو جمع فيها بين الشعر الموزون المقفى الشطور وبين التوشيح الأندلسي المبتكر. ثم ظهرت بعد ذلك أوزان جديدة لم نعهدها في شعرنا العربي من قبل وهي أقرب في طريقة صوغها وأنغام موسيقاها إلى الشعر الأجنبي بوجه عام. ومن هذا القبيل إحدى مقطوعة عريضة يقول:

ياحداة القلوب رفقا طال درب الهوى وشقا

فإلى م القلوب تشفى هل لها وقفة فتلقى

راحة في الدروب

يا حداة القلوب[2]

أ-2/ التجديد في الموسيقى الشعرية:

لم يكتف هؤلاء الشعراء المجددون بالتنويع في أوزان الأبيات وبحورها فحسب، بل نراهم يشنون حملة شعواء على ذلك القيد الذي رضي به الشعراء العرب على مر العصور وكبلوا به قصائدهم و أشعارهم وهو القافية فنجد الشعراء المهجريون في بعض قصائدهم مقسمة إلى مجموعات من الأبيات كل مجموعة تسير على قافية بعينها، وقد تقتصر المجموعة الواحدة على بيتين من الشعر، أو ثلاثة ومثال ذلك مقطوعة لنعيمة يقول:

نحن يا بني عسكر قد تاه في قفر سحيق

نرغب العودة ولا نذ كر من أين الطريق

فانتشرنا في جهات الـ قفر فتجلى الأثر

نسأل الشمس عن الدر ب ونستفين الحجر[3]

ويظهر أن هذا الشعر المزدوج القافية قد راق كثيرا من الشعراء المهجر، فأنشئوا على منواله الكثير من مقطوعاتهم وقصائدهم. وأحيانا يقسم الشعراء قصائدهم إلى مجموعات من الأبيات

[1] - نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، ص251.

[2] - الموقع www.google.com

[3] - نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، ص252.

بعضها مكن من ثلاثة أبيات، وبعضها من بيتين وكل مجموعة تأتي على قافية واحدة مخالفة لسابقتها وتاليتها وقد زادوا اتحاد قافية المصاريع في أكثر من بيت بالإضافة إلى تأثرهم بشعر الغربيين ، كما تميز إضافة إلى ذلك بموسيقى داخلية تنساب من خلال أبياته وتوحي بها أوزانه وقوافيه وتتجاوب بها النفوس وتتأثر بها القلوب، ومن أبدع القصائد رشيد أيوب التي لا تخلوا من موسيقى تصويرية تعبر عن معاني أبياتها وتوحي برنين كلماتها قصيدته" المسافر" فهي تمتاز إلى جانب وزنها الشعري الجميل بتغير ألفاظها وانتقاء مخارج الحروف:

دعته الأماني فخل الربوع وساروا في النفس شيء كثير

وفي الصدرين حنايا الضلوع لنيل الأماني فؤاد كبير

فحث المطايا وخاض البحار ومرت ليالي وكرت سنون

ولم يرجـــــــــع[1]

أ-3/ التجديد في الألفاظ:

كما جدد الشعراء المهجرين في الأوزان واعتنوا بالموسيقى فجددوا أيضا في الألفاظ، فالقارئ في ديوان الأيوبيات لرشيد أيوب يلاحظ استخدامه ألفاظا أجنبية في صورة كلمات عربية، فيقول في وصفه لمدينة نيويورك:

كأني " بالصبواي" يوم تجمهرت بهاالناس خلف الناس في موقف الحشر

تروح بها" الكارات" ملئ خلاقا وترجع فيها مثلات إلى الجسر[2]

فكلمتا الصبواي و الكارات وتعني الأخيرة السيارات car أخذتا من الإنجليزية. ومن حيث الأساليب الشعرية مال الشعراء المهجر إلى الأسلوب القصصي في قصائدهم وهي من النوع العاطفي التأملي الحزين كما استخدموا أحيانا الأسلوب الحواري في شعرهم القصصي وغيره فيكون الحواريين شخصيتي أو أكتم، وكثيرا ما يجرد الشاعر من نفسه شخصية

[1] - - نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، ص264.
[2] - المرجع نفسه، ص270.

يحاورها أو يجعل من قلبه شخصية ثالثة يكلمها. فهذا ضرب جديد من النظم لم نعهده. ويمكننا أن نقرر أن التجديد في المعاني يستتبع تجديدا في الصياغة، فالمعاني عندهم قريبة روحية استمدت من أجواء العلم و الفن الغربي الأمريكي الرفيع، بالتالي صاغتهم تشرق بالسهولة و العمق. فثورتهم التجديدية كانت كلها بفضل العوامل التي أحاطت بهم و الحضارات التي حركته وفي مقال لجبران حول اللغة العربية يقول:((لكم لغتكم ولي لغتي لكم منها القواميس و المعاجم و المطولات، ولي منها غربلته الأذن، وما حفظته الذاكرة من كلام مألوف تتداوله السن الناس...))[1]

ومثل جبران قام نعيمة في غربالة يشوه معالم المحافظين وينهض بالأدب إلى مناهج جديدة، كما أن مخائيل نعيمة لا ترضيه و لا تريح باله التعاريف التي قيلت لتحديد ماهية الشعر فالشعر عنده هو: ((خلية النور على الظلمة، والحق على الباطل،هو ترنيمة البلبل، ونوح الورق، وخرير الجداول، وقصص الرعد هو ابتسامة الطفل ودمعه الثكلى...،و بالأجمال فالشعر هو الحياة باكية وضاحكة و ناطقة و صامتة، ومولولة،ومعللة و شاكية و مسبحة ومقبلة ومدبرة))[2]. والشعر عند جبران:((هو روح مقدسة متجسمة من ابتسامة تحي القلب أو تنهده تسرق العين مدامعها، أشباح مسكنها النفس، وغذائها القلب ومشربها العواطف...))[3]. فالمهجريون يؤمنون بالتجديد في الشعر ويروان الشعر صورا شعرية حية متحركة نابعة بالحياة، وموسيقى متوثبة رفاقة تحرك كل شيء في عقل الإنسان وفكرة ومعان جميلة بديعة لا يطغى عليها الأسلوب، وقد صور نعيمة رأي المدرسة المهجرية في الشعر فقال:((أريد أن أدخل الشعر إلى نفسي فيبعث فيها إما القلق وإما الدهشة أو الوحشة أو الغبطة أو الحزن أو الشك أو اليقين أو النشوة للمحة شاردة من الجمال))[4].

1 – جورج غريب، المقالة الأدبية، دار صادر، بيروت لبنان،د ط، د ت،ص 92–93.

2 – عبد الحكيم بليغ، حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق ،ص92–93.

3 – المرجع نفسه ،ص41–42.

4 – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، د ت،ص364.

ب- موضوعات الشعر المهجري.

بين النهضة في الشرق و الأدب المهجري في الغرب وشانج قربي وشراكه في النهوض على أن هذا الأدب يتميز بخصائص و موضوعات جعلته على جانب كبير من الاستقلال.

ب-1/ الحنين إلى الوطن:

رغم أن المغترب من بلاده فلم تنفصم بينه وبينها عرى ولا انقطعت روابط بل ظلت مرابع الصبى ميدان أحلام و أصداء الأمس أناشيد ندية، ففي الأوطان الأمهات و الآباء و الأبناء و الأجداد، وفيها ذكريات الحب وسمر العشيات، فالحنين لابد أن يكون.

وإذا عدنا إلى أشعارهم فنجد تغلب عليه في الطليعة هذه الحنين، وهذا اللون قديم في شعرنا العربي فنحن نجده منذ العصر الجاهلي، إذ كانت تدور حياة العرب على الرحلة من كلأ إلى الكلأ، ثم جاء الإسلام وخرجوا من جزيرتهم مجاهدين في سبيل الله، فبكوا ديارهم، ونعوا غربتهم وأنفسهم، وكان نزوحهم الدائم عن الأوطان سببا في استمرار هذا الحنين، وعبر ابن الرومي عن العلة التي يحب من أجلها الناس أوطانهم حيث يقول:

ولي وطن أليت ألا أبيعه وألا أرى غيري له الدهر مالكا

عهدت به شرح الشباب ونعمة كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكما

فقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد إن غاب غودرت هالكا[1]

وابن الرومي يصور في هذه الأبيات محبة الوطن، ويفصح عن العلة فيها و السبب، وهي محبة عامة تشترك فيها كل الشعوب و الأمم. وما أشقى النازح المغترب وصدره تشتعل فيه نار الحنين، وكل أشعار هؤلاء المهاجرين تدل على أنهم لم ينسوا وطنهم يوما،وحنينهم الدائم نحو أرض الطفولة ومهد الذكريات، فهل يستطيع أحد أن ينسى وطنه وقد ترك فيه أباه و أمه و أخاه و أخيه؟ إن المهاجر العربي في أمريكا أو في بلد أخر ليذكر هذه الأحلام كلما أقبل النور أو أقبل الظلام يذكر بالأمس الجميل ويلتفت حوله فلا يجد إلا فراغ، لقد هاجر لطلب العيش و الحياة الكريمة، فحقق من هذه الحياة فوق ما كان يأمل، ولكن فقد قلبه

[1] - شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص257.

وراءه، وأحس إحساسا عميقا بالوحشة و الغربة، هذه الغربة التي لجأ إليها بعضهم نتيجة الطغيان الاستعماري وغادرها الأخر مجبرا نتيجة لما يمثلوه من خطر على مصالحهم الاستعمارية، ومن بينهم أمير الشعراء أحمد شوقي الذي يقول واصفا وحدته:

اختلاف النهار والليل ينسي فأذكر الصبى وأيام أنسي

وسلا مصر هل سلا القلب عنها جرحه الزمان المؤنس

كلما مرت الليالي عليه رقاد العهد بالليالي نفسي[1]

وعبر جبران عن لهفته وشوقه الضامئ نتيجة غربته النفسية وما يعانيه من الوجود في قصيدته البلاد المحجوبة فيقول:

هو ذا الفجر فقومي ننصرف عن بلاد ما لنا فيها صديق

ماعسى يرجو نبات يحتلق زهرة عن كل ورد شقيق؟

وجديد القلب أن يأتلف مع قلوب كل ما فيها عتيق؟[2]

وقد عبر عن هذا الحنين إلى الوطن العديد من شعراء المهجر في قصائد عديدة.

ب-2/ الوطنية و القومية:

أما الوطنية في الشعر المهجري فكم تأججت في صدورهم نار الحب لأوطانهم ولعروبتهم، وكم نظموا أشعارا في الوطنية و الوطن،ولعل من أبرز ميزات الشعر المهجري أن الشاعر يعبر عن إحساس قومه ومشاعرهم مثلما يعبر عن إحساس نفسه ومشاعرها وأن الأحداث التي تمر في وطنه الأم فتترك صداها العميق قي قلبه وشعره معا وما سقطت دمعة من مواطن عربي- في الوطن الأم- إلا وسالت أغنية حزينة أو مقطوعة شعرية لشاعر مهجري، وما زفر حزين وتاوه مصدور في المشرق العربي إلا وكان لآهته وزفرته صدى عميق مؤثر في الشعر المهجري فهذا الشاعر القروي يقول:

فيه جفونك من لذيذ منام طلع الصباح على ربوع الشام

[1] - أحمد شوقي، الشوقيات، دار الطبع دار العودة، بيروت، لبنان، 1983م، ص45- 64.

[2] – نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجر بين أصالة الشرق و الغرب، دار الفكر العربي، القاهرة ،مصر، دت،ص127.

ما ضر من أفنى الحياة مشهدا أن بات يوقظ مرة في العالم

يا سيد القلم الذي انقادت له يوم النضال أعنه الأقلام[1]

ويقول جورج صيدح:

وطني طيفك ضيفي في الكرى كلما أطلقت جفني رقد

يتحنى، فإذا ملت إلى ضمه أعراض على ابتعد

أثرى طيف بلادي مثلها كلما طيف لها لاقلب استبد

عبثا يا طيف تبلو جلدي ليس لي بعد فلسطين جلد[2]

إلى غير ذلك من روائع الشعر القومي الوطني كما بدا في وطنيات" أبو شادي" وغيره ممن دفعوا عن القضية الفلسطينية من خلال ما نظموا من شعر.

ب-3/ الأسرة: إن شعراء المهجر أثروا بشكل جلي في أدبنا الحديث، فقد ترنموا في شعرهم بمختلف الأغراض الإنسانية، ودعوا إلى المثل الرفيعة وعبروا عن مجتمعهم أصدق تعبير، ومما تناولوا في شعرهم الأسرة فقد تحدثوا عنها حديث الإنسانية النبيلة فوصفوا الأب وكدحه، والأم و حنانها والبيت ونظامه، و الأطفال وبراءتهم، و الفتاة ومشكلاتها، و الشباب وتربيتهم إلى غير ذلك من مختلف ضروب الشعر الذي يدور حول الأسرة،فهذا الشاعر مهجري مكفوف لا عزاء له عن ظلام دنياه إلا عيني أمه الحنون التي اعتبر موتها شرا من ظلام العمى فيقول:

خلقت أعمى وكان عندي في عين أمي ضوء لعيني

فقدت أمي فحين ماتت عميت يا رب مرتين[3]

وفي أرض الغربة و الوحشة ناجي" أمين مشرف" أمه الحبيبة بكلمات من الشعر المنثور هامسا:((يا علة كياني ورفيقة أحزاني، يا رجائي في شدتي، وعزائي في شفوتي، يا لذتي في حياتي، وراحتي في مماتي، أمي ما أحلاك يا أمي انت مسكنة وجعي وألمي، ومبددة يؤسي

[1] - حيدر توفيق بيضون، الشاعر القروي، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان،ط1،1993م، ص136.

[2] - عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،ص347.

[3] - المرجع نفسه، ص350.

وهمسي،انت وما أصفاك يا أمي.جراء الكلاب تجلس في أحضان أمهاتها وفراخ الدجاج تحتمي بأجنحة أمهاتها وغصون الأشجار تبقى معانقة أمهاتها...وأنا وحدي بعيد عنك ومشوق إليك يا أمي. إذا مت يا أمي وإذا قتلت وجدي ودفنت أمالي في هذه الأرض الغريبة فاجلس عند الغروب قرب غابة السندباد وأصغي...هناك نداءاتي امتزجت بنسمات الغابة وأشجرها يرتلن بهدوء متمايلات مرددات: يا أمي..يا أمي...يا أمي...)) [1].

إن قلب الأم ينبوع فياض بالسعادة الحقيقية التي يستحقها البار لا العاق، كما كان حديث الشعر المهجري طويل ومتصل وهو ميراث من مواريث الإنسانية وقديما قال الشاعر العربي:

و إنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لا متنعت عيني عن الغمض [2]

ب-4/ الماورائيات وموضوعات أخرى:

تصدى المهاجرون في شعرهم لقضية ميتافيزيقية غيبية المصير و الوجود و الكون، محاولين كشف أسرار الحياة والطبيعية أنها تأملات أمام المغلق هي أقرب إلى الهواجس و الخواطر العابرة منها إلى المجاري الماورائية المتشعبة، من ذلك قصيدة" الطين" لأبو ماضي و "على بساط الريح" "لفوزي معلوف" وكتابات كثيرة" لجبران"و " نعيمة" وسواهما، ومثل هذا التفكير في الحياة الروحية جديد على الأدب العربي يسير و العلم الحديث.جنبا إلى حيث الجدل بين الطبيعتين و الإلهين و الإنفاق بين العلم و الفلسفة و تقديس النظم الأزلية و القيم العلوية و الإنسانية، وحيث الفتات المجردة إلى الحقائق و السعادة و النهايات و النظرات المعنوية إلى حياة القرى و الطبيعة.أما الطابع الصوفي فقد تجلى في حبهم للطبيعة واندماجهم فيها وفي وصف جمالها. كما نظموه في الابتهال إلى الله وفي تقديس أنبيائه حيث يقول " نسيب عريضة"من قصيدته " الصلاة":

---

1 – عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،ص352

2 - المرجع نفسه، ص555.

أيا من سناه اختفى وراء حدود البشر

نسيتك يوم الصفا فلا تنساني في الكدر

أيا فاخرا راحما يرى ذل أمسى وغدا[1]

وقد جعل " عيسى الناعوري"((حركة التجديد في الشعر المهجري نتيجة الجو الجديد الذي عاش فيه شعراء المهجر وآداب الغربية التي اتصلوا بها و بأهلها و الحرية الواسعة التي امتلأت بها نفوسهم. كما أنه امتداد للانطلاقة الأندلسية الشعرية التي ظهرت في الموشحات))[2].ويلخص" عيسى الناعوري"العناصر البارزة في الأدب المهجري مثل: التحرر التام من قيود القديم،الأسلوب الفني و الطابع الشخصي المتميز وعمق الشعور بالطبيعة، الحنين إلى الوطن و التأمل، و النزعة الإنسانية وبراعة الوصف و التصوير و الحرية الدينية و الغنائية الرقيقة في الشعر.

ونلخص نحن بدورنا على شعر المهجر تردد بين نزعة كلاسيكية ونزعة رومانسية سائدة، ونزعة رمزية ظاهرة، ونزعة واقعية غالبة وبعض المظاهر السريالية فهم بذلك عبروا عن مكنون نفسه في أبسط الألفاظ و الأساليب ومن هذا كان هذا الشعر ثورة في تاريخ أدبنا الحديث وبتلك الميزات المختلفة كان للشعر هؤلاء أفق مستقل لا يكاد يرتبط بشعرنا القديم على الأقل من حيث النظرة العامة، إذ له طابعه الفردي وله شخصية الفكرية وله انعتاقه الشعوري ومثله الإنساني وكل ذلك يرتكز على ثقافته الواسعة بالآداب الغربية. \

[1] - عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،ص312.

2 – عيسى الناعوري،أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة،، مصر،1967،ص230.

رابعا: أعلام الشعر المهجري

- من أعلام الشعر المهجري:

1-الدكتور أحمد زكي أبو شادي: ولد في القاهرة عام 1892 وتعلم الطب في إنجلترا وعاد منها عام 1922 تلقى ثقافته الأدبية من أعلام الأدب في عصره، وأخذ الشعر عن مطران وتأثر بالمدرسة الإنجليزية في الشعر و النقد، وأخرج دواوين كثيرة منها" الشفق الباكي"و"أطباق الربيع" والينبوع وكون مدرسة شعرية جديدة مدرسة أبولو" وأخرج مجلة أبولو للشعر ونقده وأثر في الشعراء المعاصرين تأثيرا كبيرا، وهاجر إلى أمريكا عام 1946 وتوفي في واشنطن في 12 أفريل 1955 وله أثر كبير في حركات التجديد في الأدب و النقد و الشعر المعاصر ومن شعره قصيدته أين الربيع؟

التي يقول فيها:

أين الربيع؟ سالت عنه فلم أجد

من رد غير تدفق الأمطار

ولي ولم يحضر فغاب كأنه قد عاش في الأوهام و الأفكار

قالوا: هي الذرات حين تفجرت نثرت نظام الجو أي ثار[1]

2- إيليا أبو ماضي: ولد في لبنان عام 1891،وهاجر إلى الإسكندرية بمصر عام 1902 وأخرج فيها ديوانه"ديوان أبو ماضي" قبل أن يبلغ العشرين ليهاجر إلى نيويورك عام 1916 وتعرف إلى جبران واصدر الجزء الثاني لديوانه وقد قدم له جبران...وصار من شعراء" الرابطة القلمية"وفي عام 1927 أصدر ديوانه"الجداول" وفي عام 1929 أنشا مجلته" السمير" وفي عام 1946 أصدر "ديوانه الخمائل" ومات أبو ماضي في نيويورك في 24 نوفمبر عام 1957 وقد بلغ غاية نضوجه الشعري في " الجداول" لا سيما في قصيدته "فلسفة الحياة "والنزعة الإنسانية السائدة في شعره وتتردد فيه أحيانا النزعة الواقعية التأملية

[1] - عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص359.

وهو من شعراء الطبيعة وله العديد من المطولات الشعرية التي منها: "الحكاية الأزلية"و"الطلاسم" ويقول" أبو ماضي" من هذه القصيدة" الطلاسم":

قد رأيت النعل يسعى مثلما أسعى لرزقي

وله في العيش أوطار وحق مثل حقي

قد تساوى صمته في نظر الدهر ونطق

فكلانا صائر يوما إلى ما...[1]

3- نسيب عريضة: ولد عام 1887 وهو من أبناء سوريا هاجر إلى أمريكا عام 1905، وأصدر في نيويورك عام 1913 مجلة" الفنون" ويتميز أدبه وشعره بالشكوى من تعاسته وحزنه في الحياة اخترمه الحزن وغلب على حياته الأسى و الألم فأورثه ضيقة نزعة من التشاؤم و اليأس المديد...وأصدر عام 1939 ديوانه" هي الدنيا" وأخر دواوينه"الأرواح الحائرة" وهي صورة كاملة لحياته المضطربة وروحه الفلسفية وفكره الشارد العميق، وهو أيضا عضو من أعضاء الرابطة القلمية وفي ظلال هذه الحياة البائسة المنعزلة ومن خلال تلك الأفكار المتشائمة السوداء أنشد عريضة أبدع أغنياته الصوفية وأرق مقطوعاته في الزهد و التأمل وواضح أن صوفية" نسيب" ناتجة عن كثرة تأمله وعمق تفكيره في الحياة و أسرارها و النفس و أحوالها، وقد كان يحرر في جريدة" السائح"و"الهدى" و"مرأة الغرب"...وله ملحمتان"أبو فراس" و"إلى من ذات العماد" وتوفى عام 1946 ومن شعره يقول:

أ شمس الحياة، أسرعي وعيبي،فأنت خيالي

أشمس الخلود، اسطعي إليك،إليك المال[2]

4- ميخائيل نعيمة: ولد في لبنان عام 1889 في بسكنتا وهاجر عام 1902 إلى فلسطين ثم إلى روسيا فأمريكا عام 1911 وانظم إلى الرابطة القلمية حيث كان مستشارها ومن أشهر كتبه "الغربال" وكتابه عن جبران خليل جبران"و" دروب"و"زاد المعياد" وما إن حل 1923

[1] - إيليا الحاوي، إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972م، ص247.
[2] - نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، ص358.

حتى ذاع اسم نعيمة ناقدا من درجة رفيعة لا في المهجر فحسب بل في الشرق العربي وبين أدبائه وشعراءه وناقديه، وبدأ ميخائيل نعيمة ينظم الشعر عام 1918 المجموعة في ديوانه"همس الجفون" وهو روحي متأمل في كل ما نظم من شعر: ينظر إلى الطبيعة فيجد فيها دروسا من الفلسفة تدعوا إلى التفكير الدقيق فنعيمة" حتى في بعض منظوماته الإنجليزية صوفي كأبدع ما تكون الصوفية متأمل مفكر كأعمق ما يكون التفكير و التأمل ومن شعره قوله:

هل من الأمواج جئت

هل من البرق انفصلت

أم مع الرعد انحدت

هل من الفجر انبثقت[1]

5- شكر الله الجر: وهو أكثر تنويعا لموضوعاته وله ديوانات "الروافد"و"الزنابق"و"الفجر" وقد ترجم بعض القصائد من الشعر البرازيلي.

6- ندرة حدّاد: هو عميد شعراء العربية في أمريكا وهو شاعر حمصي(سوريا) وانضم إلى شعراء الرابطة القلمية"وهو عكس "عريضة" الحزين فهو رغم فقره ما زال يأمل في الأيام خيرا وينتظر من الله فرجا ويمتاز شعره بنزعة إنسانية وقد تعددت موضوعاته فنظم في الاجتماعات و الإخوانيات والطبيعة و الوجدانيات و التأملات،وله شعر قصصي ومن أجمل شعره التأملي قصيدة" الله" ومن شعره في المناسبات قصيدة"طابع البريد"ومن روائع شعره الإنساني قصيدته"سر معي" وقصيدته"أن إن مت" وهي دفاع النزاهة و الحرية وكرامة الإنسان "وندرة" من أوائل الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا وصل إلى نيويورك عام 1897، وتوفى عام 1950 وكانت وفاته طريفة في نوعها شاعرية في وقوعها وله قصيدة جميلة بعنوان"الراهبة"التي يقول فيها:

[1] - عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،ص364.

أ إلى الدير، مسجن الأبرياء ومقر الأيتام و التعساء

انت أت ترجو عياه هناء بين جدرانه وترجو الامانا؟[1]

7- رشيد أيوب: هو شاعر لبناني ولد في قرية بسكنتا وكان له شأن في الرابطة القلمية وهو الدرويش الشاكي شاعر الدموع وشاعر روحي عاطفي،أكثر في شعره من شكوى الزمان فلقب بالشاعر الباكي والشاكي، وكانت هجرته عام 1898 حيث استقر في نيويورك وله ديوان"أغاني الدراويش" المشهور وله ديوان"الأيوبيات"،فهو لا يرى الحب إلا من خلال الدموع وفي صوت النواح و الأنين وفي صفير الرياح وظلام الليل، هو حب حزين متألم ومن عاداته أنه يقحم في دواوينه الشعرية سطورا من النثر بين فيها آراءه ويشرح أهدافه ويوضح طريقته في الحياة ونظرته إليها فهو في كل أشعاره يشكو وحدته ويعبر عن حزنه ويصف الأمة فهو الشاعر أو الباكي الحزين ومن شعره قوله:

قالوا مقل وقالوا ذو ثراء ومن في الناس مثلي غدا لغزا لدى الناس

إن رحت أنشد أشعاري فأونه يبدو سروري ويبدو تارة يأسي[2]

8- شفيق معلوف: شاعر متزن وأديب و مفكر رصين، مستوعب للفكر الفلسفي قرأ الفلسفة الحديثة وعلم النفس وتغلغل كل ذلك في شعره الجميل الذي يسانده طبع أصيل وذاع اسم فوزي ورياض و ميشال من أسرته وكان شفيق رئيس" العصبة الأندلسية" في البرازيل بعد"ميشال" وله"الأحلام" وهي قصة خيالية اجتماعية وديوان" لكل زهرة عبير وملحمة عبقر"

9- فوزي المعلوف: وله سقوط غرناطة" وأربعة دواوين هي " شعلة العذاب" وتأوهات الريح" "من قلب السماء"" أغاني الأندلس" وملحمته "على بساط الريح" المشهورة.

10- الشاعر القروي: رشيد سليم الخوري ولد في سوريا عام 1887 وهاجر إلى البرازيل عام 1913 وأصدر عام 1932 ديوانه" الأعاصير" وفي عام 1953 طبع ديوانه الضخم" ديوان الشاعر القروي" وعاد عام 1959 إلى سوريا أقام فيها حينا بعد غربته الطويلة ليستقر

[1] - نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية،ص371.

[2] - المرجع نفسه، ص347.

في لبنا في قرية "برابر"ويعد القروي العلم الشامخ للشعر القومي ويمتاز شعره بالوطنيات وشاعريته محفلة وديباجته متمكنة من اللغة والبيان، وشعره كلاسيكي في أبهى حلله العصرية كما يذكر أن الإحساس الديني العميق برز فيه وهو في مطلع الرابع عشر من عمره ومن شعر قوله في قصيدته "لبيك":

لبيك يابطل الجزائر عقدت على الثأثر الخناصر

يفديك بالمهجات أحرار العروبة والحرائر

رأيت أني جال طرفك غير ثائره وثائر [1]

11- إلياس فرحات: ولد عام 1893 في لبنان وهاجر عام 1910 إلى البرازيل، وظهر ديوانه عام 1932 في مدينة سان باولو وطبع شعره في أربعة دواوين هي:" الربيع""الصيف"الخريف""رباعيات فرحات" وأشهر قصائده" خصلة الشعر" التي يقول فيها:

خصلة الشعر التي أعطيتها عندما البين دعائي بالنفر

لم أزل أتلو سطور الحب فيها وسأتلو إلى اليوم الأخير [2]

12- أمين الريحاني: ولد في قرية الفرنكة في لبنان عام 1876 وما إن بلغ الثانية عشر من عمره حتى صحبه أبويه إلى نيويورك.وقد استهوته مسرحيات شكسبير فمال إلى التمثيل وانظم إلى إحدى جمعياته، ثم إلتحق بجامعة وعاد إلى لبنان سنة 1898 وأتم فيها ثقافته العربية،واكب على مطالعة "أبي علاء" وعلى نقل بعض شعره إلى الإنجليزية ليعود بعدها إلى نيويورك، وجال بعدها في بلدان العربية يكتب تاريخها حتى وافته المنية سنة 1940، وهو رجل الوعي و التحرر و الثورة ورجل الإنسانية كما أنه رجل العقل و الوطنية الصادقة ومن مؤلفاته المشهورة " الريحانيات" في أربعة أجزاء، وفيها مقالات وخطب وشعر منثور. ومن الشعر المنثور" للريحان" في رثاء فتاة ماتت غرقا:

[1] - حيدر توفيق بيضون، الشاعر القروي، ص136..

[2] - عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،ص397 .

أيتها الساكنة قعر النهـــر الفضي

أيتها الرافدة تحت الأمواج الغريبة[1]

[1] - عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري،ص177.

الفصل الثاني

تأثير الفكر الفلسفي في جبران.

أولا: الأصول الاجتماعية و الاشتراكية.

أ/ المساواة.

ب/ المرأة والحرية.

ثانيا: الأصول الدينية.

أ/ القرآن الكريم والمسيحية.

ب/ التناسخ.

ج/ التصوف.

ثالثا: الفلسفة الغربية وتأثيراتها على جبران.

أ/ فلسفة نيتشه.

ب/ فلسفات أخرى.

أوّلا : الأصول الاجتماعية والاشتراكية.

أ – المساواة:

نادى بهذا الاتجاه جماعة من الفلاسفة والمفكرين في أوائل القرن التاسع عشر، لعلاج وضعية المجتمع الأوربي السيئة بعد بوادر الثورة الصناعية، فأكدوا على حقوق المجتمع والمساواة بين طبقاته، وهذا الاتجاه هو الاتجاه الاشتراكي، والواقع أن "جبران" قد تعذبت نفسه من أجل قومه وتلهفت إلى إصلاح حاله، وقد انعكس ذلك العذاب وتلك اللهفة في أدبه فتجلت فيه نزعته الواقعية الاشتراكية، يرمز إليها تارة ويصرح بها تارة أخرى. وحين ندرس أدب "جبران" ((يتضح لنا أكثر فأكثر ميل "جبران" إلى للنظم الاشتراكية))[1] . فالعمل والطبقية (المساواة) والمرأة والحرية كلها مبادئ اجتماعية نادى بها "جبران" فهذه الأسس الكبرى التي تصورها "جبران" كمنطلقات ضرورية لبناء المجتمع الأفضل وهي حقوقيات فلسفية، والحصول على هذه الحقوق لا يتم بالصبر والصلاة ولا يتم خصوصا بالخضوع للأثرياء خضوع العبيد. فهذه الحقوقية هي أسس محصورة ومحددة لفروع فكرية كثيرة لا نشك بأنها راودت خيال "جبران" والفكرة الوحيدة التي تبقى عليها مسحة من الشك هي قولنا بنزوعه إلى الاشتراكية، فلم يكن "جبران" يرضى بالنظام الاجتماعي الذي كان سائدا، وكان يريد استبداله بنظام آخر يحقق هاجس العدالة ويتضح لنا أكثر ميله إلى ذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار بعض المبادئ الفلسفية العائد لنظرته إلى منتهى ما يرتجيه من الإنسان ومجتمعه، الإنسان المدعو إلى التفوق فهو عندما يصرح في فصل "الجرائم و العقوبات من كتابه النبي"[2] بأن البشرية تتقدم في موكب واحد نحو ذاتها الإلهية، فلا يقترف الواحد جرما إلا بموافقة ضمنية من قبل الجماعة بأسرها إنما يشارف بذلك المعتقد الاشتراكي القائل إن التركيب الاجتماعي مسؤول بشكل منظور أو خفي عن كل ما يتورط به الإنسان من شائن الأعمال أو نبلها، كأنما الشراكة في النظام مقياس للشراكة الفعلية في المسؤولية، عن مبدأ

[1] – غسان خالد،جبران الفيلسوف،م نوفل، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ص159.

[2] – المرجع نفسه،ص162.

مجتمعية الإنسان في الفكر الاشتراكي يلامس في جوهره فكرة الذات الاجتماعية الواحدة في الفكر الجبراني، وكأن بجبران شاء هذه الشراكة في قراراته الفكرية والعاطفية معا ولكنه لم يوضحها عمليا، شأنه في ذلك شأن الفنانين الذين يبحثون عما لا يصرحون عنه إلا بالرمز لأنهم يرفضون ملامسة الأشياء في وضوحها المرئي لذلك تفتح غيبوبة الفكر الفني الأداء أمام الباحث أفاقا واسعة للتأويل.

فالمبادئ التي عند "جبران" ودافع عنها في مؤلفاته خاصة الطبقية تلتقي بشكل صريح مع القواعد الاشتراكية للحياة، كما أن نظرته الفلسفية العائدة المستقبلية الإنسانية في الاندفاع نحو الوحدة والتكامل فلا تتعارض أيضا مع المبادئ الاشتراكية بل وتلتقي بها. ألم يقل لماري هاسكل بشأن الثورة الروسية : ((إن الذات العتيقة للجنس البشري آخذة في الموت السريع والذات الجديدة آخذة في الانبثاق كجبار فتي))[1] . فهو يتحدث عن طيار يوافق إلى حد ما نظرته في العدالة البشرية والحرية وحقوق الإنسان. و أول هذه الاجتماعيات التي صرح بها "جبران" في كتاباته وحث أخيه الإنسان بالدفاع عنها والسير إلى دربها حتى يحقق غاياته وإنسانيته.

فحث هذا الإنسان بفكره على العمل، فجبران بعد أن غادر وطنه إلى العالم الجديد تأثر بحب الغرب لأعماله وبالمدنية التي وصلوا إليها بفضل العمل الذي لا يضيعون وقتا في أدائه فالسر وراء نموهم وتطورهم هو العمل ثم العمل، ولذا كان يحث على ضرورة العمل وأهميته في حياة الإنسان والمجتمع الذي ينتمي إليه فهو بفضل ما يقوم به من عمل يساعد ذاته والآخرين، فبالعمل تنهض الأمم وتتقدم فلسفة العمل الغربية ناشدها "جبران" في بني قومه لأن الإنسان يثبت وجوده عن طريق العمل الذي يقوم به حتى يحقق حريته ويصل إلى العدالة الاجتماعية التي يناشدها هذا الإنسان من حقوقيته. فلا السياسة ومظاهرها وأشكالها تهم "جبران" بقدر ما تهمه الأمة التي تعمل فتنتج وتعطي وتزدهر وتتعالى بين الأمم:

[1] – غسان خالد،جبران الفيلسوف،ص160.

((تدعي فكرتكم أن الأمم بالسياسة والأحزاب والمؤتمرات والتقارير والمعاهدات أم فكرتي فتحتم أن الأمم بالعمل ثم بالعمل ثم بالعمل، العمل في الحقل، وفي الكرم، العمل أمام النول، والمصبغة العمل في المقلع وفي الغاب، العمل في المكتب وفي المطبعة))[1] . وقد حذر من الأمم التي تعتمد على الآخرين في ملبسها ومأكلها ومشربها في قوله: ((ويل لأمة تلبس مما لا تنسج وتأكل مما تزرع، وتشرب مما لا تعصر)) [2].

فالأمة التي تعجز عن تلبية حاجياتها الضرورية الأفضل لها أن تذوب في شخصية أمة تعمل ليلا ونهارا كي لا تعيش الأولى على الثانية.

وقد قال لماري هاسكل: ((كلانا نسعى أن نعمل شيئا لكننا نعمله بطرق مختلفة، فصديقي يبحث عن ذاته في الطبيعة، أما أنا فأحاول أن أجد ذاتي من خلال الطبيعة))[3] . فـ "جبران" كان يريد أن يعمل ويدمر ليبني كل ما هو نافع ومفيد للبشرية، ووجود العمل عنده مرتبط بوجود المحبة والدين والحرية الذاتية ... فالمحبة بين الناس شريعة الحياة عندها يلتقون وأمامها يتساوون فتزول الفوارق وتنقرض العداوة والخصومات:

((ثم جاء إليه فلاح وقال له: هات حدثني عن العمل.

فأجاب قائلا :

أنكم تشتغلون لكي تجاروا الأرض ونفس الأرض في سيرها.

لأن الكسول غريب عن فضول الأرض وهائم لا يسير في موكب الحياة السائرة بعظمة وجلال وفي فضاء اللانهاية إلى غير المتناهي.

فإذا اشتغلت فما أنت سوى مزمار تختلج في قلبك مناجاة الأيام فتتحول إلى موسيقى خالدة.

ومن منكم يود أن يكون قصبة خرساء صماء، وجميع ما حولها يترنم معا بأنغام متفقة؟

---

[1] – حبيب مسعود،جبران حيا وميتا، دار الريحاني للطباعة و النشر،بيروت لبنان،ط2،دت،ص97.

[2] – المرجع نفسه،ص277.

[3] – سهيل البشروئي،جبران دراسات ومختارات،م نوفل، بيروت لبنان،ط2،1979، ص177.

قد طالما أخبرتم أن العمل لعنة والشغل نكبة ومصيبة.

أما أنا فأقول لكم إنكم بالعمل تحققون جزءا من حلم الأرض البعيد جزءا خصص لكم عند ميلاد ذلك الحلم.

فإذا واظبتم على العمل النافع تفتحون قلوبكم بالحقيقة لمحبة الحياة.

لأن من أحب الحياة بالعمل النافع تفتح له الحياة أعماقها، وتدنيه من أبعد أسرارها.

ولكن إذا كنتم وأنتم في الآلام تدعون الولادة كآبة ودعامة الجسد لعنة مكتوبة لعنة مكتوبة على جباهكم، فإنني الحق أقول لكم إنه ما من شيء يستطيع أن يمحوا هذه الكتابة ويغسل جباهكم من آثارها سوى سعيكم وجهادكم.

وقد ورثتم عن جدودكم القول أن الحياة ظلمة، فرحتم في عهد مشقتكم ترددون ما قاله قبلكم جدودكم المزعجون.

فالحق أقول لكم إن الحياة تكون بالحقيقة ظلمة حالكة إذا لم ترافقها الحركة))[1]

فالعمل عند "جبران" رغبة المرء في التعبير عن ذاته وفرض عن ذاته وفرض وجوده، وهي غريزة أقوى من الجوع والعطش، وهو من الذين يعرفون معنى للراحة والاسترخاء ولو أنه يتمنى ذلك ولكنه لا يستطيع : ((يبدو لي أني ولدت وفي قلبي سهم من المؤلم سحبه ومن المؤلم تركه))[2].

حتى أثناء العطل لا يريح نفسه لأن العمل لم يكن أبدا عناء كما في حياة الآخرين بل كان سكينة وسلاما ولذة ومتعة، وتمنى في الكثير من الأحيان لو كان ثلاثة أشخاص، فالعمل ليس شقاء ونكبة وسوء حظ كما يراه الآخرين لكن "جبران" عظمه فبفضله نستطيع أن نحقق جزءا – إن لم نقل – كل أحلام الأرض فإذا ما عملنا واجتهدنا وتعبنا سنفتح بابا كبيرا في قلوبنا يقودنا طريقه إلى حب الحياة وهو ما نطمح إليه، لأن من يحب الحياة بالعمل ستفتح له الحياة ذراعيها وتكشف له على أبعاد أسرارها:

---

[1] – جبران خليل جبران، النبي، دار صادر، بيروت، ط2،دت، ص25.

[2] – حبيب مسعود،جبران حيا وميتا،ص279.

((وما هو العمل المقرون بالمحبة ؟

وهو أن تحوك الرداء بخيوط مسحوبة من نسيج قلبك مفكرا أن حبيبك سيرتدي ذلك الرداء.

وأن تبني البيت بحجارة مقطوعة من مقلع حنانك وإخلاصك مفكرا أن حبيبك سيقطن في ذلك البيت.

هو أن تبذر البذور بدقة وعناية، وتجمع الحصاد بفرح ولذة وكأنك تجمعه لكي يقدم على مائدة حبيبك.

هو أن تضع في كل عمل من أعمالك نسمة من روحك، تثق بأن جميع الأموات الأطهار محيطون بك يراقبون ويتأملون.

وكثيرا ما كنت أسمعكم تناجون أنفسكم كأنكم في نوم عميق قائلين :

" إن الذي يشتغل بنحت الرخام فيوجد مثالا محسوسا لنفسه في الحجر الأصم هو أشرق من الفلاح الذي يحرص الأرض"

والذي يستعير من قوس قزح ألوانا يحول بها قطعة النسيج الحقيرة إلى صورة إنسان هو أفضل من الاسكافي الذي يصنع الأحذية لأقدامنا.

ولكني أقول لكم، لا غي نوم الليل، بل في يقضة الظهيرة البالغة، إن الريح لا تخاطب السنديانة الجبارة بلهجة أحلى من اللهجة التي يتخاطب بها أحقر أعشاب الأرض. والعظيم العظيم ذلك الذي يحول هيمنة الريح إلى أنشودة تزيدها محبته حلاوة و عذوبة.

أجل إن العمل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة فإذا لم تقدر أن تشتغل بمحبة وكنت متضجرا ملولا، فالأجدر بك أن تترك عملك وتجلس على درجات الهيكل تلتمس صدقة من العملة المشتغلين بفرح وطمأنينة.

لأنك إذا خبزت خبزا و أنت لا تجد لك لذة في عملك، فإنما أنت تخبز علقما لا يشبع سوى نصف مجاعة الإنسان.

وإذا تذمرت، وأنت عينك، فإن تذمرك يدس لك سما في الخمرة المستقطرة من ذلك العصير.

وإن أنشدت أنا شيد الملائكة، ولم تحب أن تكون منشدا، فإنما أنت تصم أذان الناس بأنغامك عن الإصغاء إلى أناشيد الليل وأناشيد النهار))[1].

فلما مزج وربط "جبران" العمل بالمحبة كان متأكدا من أن العطاء سيكون خصبا والجني سيكون أكبر والحصاد سيكون أكثر لأن إذا ما عرف أنه سيعمل كل تلك الأشياء لمن يحب سيتفنن فيها ويتقنها لأجل الذين يحبهم. ويختم في آياته الفلسفية التأملية أن العمل يجب أن ينبثق من أعماق الروح والتي تنثر نسماتها فوق ذلك العمل مستذكرا أن جميع الأموات الأطهار يراقبونه ويتأملونه.

وما أجمل أن يعمل المرء ويحب و يحب ليعمل! فهو يسوي بين جميع الأعمال فلا فرق بين الفنان والرسام والإسكافي فإنهم سواسية، الفرق في العمل الذي اختاره كل واحد منهم.

إن من الأسس التي تناولها "جبران" في كتاباته المساواة (الطبقية) فكانت ثورته ضد الطبقية كثيرة في كتبه "عرائس المروج" و "الأرواح المتمردة" و "الأجنحة المتكسرة" . وقد اختلطت عدوانية "جبران" حيال غطرسة الأقوياء بعدوانيته حيال أصحاب التسلط الطبقي بسبب رفضه لانتمائه الشخصي إلى الطبقة الوضعية، عبر انتماء أبيه فعاش طفولته وفتوته في هواجس هذا الانتماء وفي هواجس تحطيم نظرة الناس إليه وإلى عائلته ((ولا شك أنه عانى من الذي يسميه الفكر الاشتراكي الوعي الطبقي))[2]، الذي ينمي لدى المقهورين من بؤساء المجتمع جرثومة الرفض والثورة وكثيرا ما كان يصرح لصديقه "يوسف الحويك" خلال دراستهما الفن في باريس عن آلامه من ضائقته المالية: ((... لعن الله المال كيف يقف

[1] – جبران خليل جبران، النبي،ص28.

[2] – الموقع:www.google.com

بالمرصاد بين المرء وأمانيه))[1] . وقد كان حافزه الأساسي في التمرد على الطبقية وفي النزوع السادي لتحطيم غطرسة كل مدع لحق التسلط في المجتمع وهما الحرمان والفقر كما شغلت مسألة الظلمة والبؤس هذه بال "جبران" ليدعو إلى الخلاص منه بأفكار إصلاحية والعدالة الاجتماعية بين جميع الطبقات الاجتماعية، فيرى وكأنه الضعيف الذي ظلم وعذب، وسلب حقه في العيش الكريم فاستصرخ شركاءه في الذل أن يحطموا قيود عبوديتهم وفاقتهم، ويفضحوا عبادة الإنسان لمظاهر التأنق ، وجشع التخمة، والاستعلاء على سواه من البشر فافتقار المجتمع إلى العدل وطغيان طبقة النبلاء وحرمان المرأة من شرف الحرية إلى ما هنالك من نقد مبطن لتحكم القدر والتقاليد بمصير الإنسان وتلك الطبقية من الناس التي تكتنز الثروات وتفتقر لغنى النفس صورة صورها لنا "جبران" في "مرتا البانية" في "عرائس المروج" ويرى "جبران" أن الملكية الإقطاعية للأراضي لم تحصل بناءا لمبدأ حق بل استنادا إلى شريعة القوة التي تغتصب ملكية الضعيف، واستنادا إلى حق القوة لا إلى قوة الحق :

((هذه هي حياتكم أيها الفقراء. هذا هو ليل المخيم على أرواحكم أيها التعساء. هذه هي أشباح ظلكم وشقائكم أيها المساكين هذا هو الصراخ الأليم المستمر الذي سمعته خارجا من أعماق صدوركم، فاستيقظت وتمردت على الرهبان وكفرت بمعيشته، ووقفت منفردا متظلما باسمكم واسم العدالة المتوجعة بأوجاعكم.

فاحسبوني كافرا شريرا واطردوني من الدير، فجات لكي أشاطركم التعاسة وأعيش بقربكم، وأمزج دموعي بدموعكم، فأسلمتموني مكتوفا إلى عدوكم القوي الذي يغتصب حياتكم، ويحي غنيا بأموالكم ويملأ جوفه الواسع من ثمار أتعابكم.

إلا يوجد بينكم شيوخ يعلمون أن الأرض التي تحرثونها وتحرمون غلتها هي لكم وقد اغتصبها والد الشيخ عباس من آبائكم عندما كانت الشريعة مكتوبة على حد السيف؟ أما سمعتم بان الرهبان قد احتالوا على جدودكم وامتلكوا مزارعهم وكرومهم عندما كانت آيات

[1] – غسان خالد، جبران الفيلسوف،ص58.

الدين مخطوطة على شفتي الكاهن؟ ألا تعلمون أن ممثلي الدين وأبناء الشرق الموروث يتعاونون على إخضاعكم وإذلالكم واستقطار دماء قلوبكم ؟))[1].

فالأثرياء العائشون في البذخ والترف، مالكي الأرزاق والثروات، لا يقيمون لسمو الأخلاق وزنا. فرفاهيتهم تجرهم إلى اقتراف الرذائل انقيادا وراء الشهوات، وفقدانا للفضيلة، ويقول جبران إن الوجدان البشري لا يدرك نواقص الحياة ، وحتى معني الحياة، إلى من الصدام CHOC المؤلم لذلك ينحصر فهم هذه الحياة بالفئة المعذبة التي ينفجر فيها الإدراك تحت ضغط الحزن والألم: ((لو علمت، يا خليل الفقير، إن الفاقة لا تقضي بالشفاء هي التي توحي إليك معرفة العدل و تشبك إدراك كنه الحياة، بقسمة الله.

قلت: معرفة العدل، لان الغنى مشغول عن تلك المعرفة بخزائنه.

وقلت: كنه الحياة، لان القوي منصرف عنها إلى المجد، فافرح إذن بالعدل لأنك لسانه و بالحياة لأنك كتابها، وابتهج، فأنت مصر فضيلة عضديك وعاضد الآخرين بيديك.

ولو دريت يا حبيبي الحزين إن الأرزاء التي أصبحت مغلوبها هي تلك القوة التي تنير القلب وترفع النفس من دركات الاستهزاء إلى درجات الاعتبار لقنعت بها إرثا وبتأثيراتها مهذبا، وعلمت أن الحياة سلسلة ذات حلقات أخذة بعضها برقاب البعض، وإن الحزن حلقة ذهبية تفصل بين الاستسلام ملأت الحاضر و التعلل ببهجة الأتي، كما يفصل الصبح بين النوم و اليقظة.خليلي، إن الفقر يظهر شرف النفس، والغنى يبين لمها و الحزن يلطف العواطف، و السرور يدملها، لأن الإنسان مابرح يستخدم المال و السرور توصلا للازدياد مثلما يفعل باسم الكتاب شرا ينزه عنه الكتاب وباسم الإنسانية ما تأباه الإنسانية))[2]

وقد دعا جبران الفلاحين ذوي الطبقة الفقيرة إلى الثورة،انطلاقا من حثهم على المقارنة بين الله الخالق الذي يدعونه إلا أبا، وبين الإقطاع الذي يرتضون دعوته سيدا، فيهبون الإنسان مجدا يحرمونه على إلههم ((أنتم لا تعتقدون بهذه الأشياء لأنكم إذا فعلتم تكونون

[1] – جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة، دار صادر بيروت، ط2، دت،ص18.

[2] – جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، دار صادر بيروت،ط2،دت،ص22.

كافرين بالعدل الإلهي، جاحدين نو الحق الذي يضيء على جميع الناس، إذا أي شيء يجعلكم تساعدون الشرير على نفوسكم؟ ولماذا تخالفون مشيئة الله بعثكم أحرار إلى هذا العالم وتصيرون عبيدا للمتمردين على ناموسه؟ كيف ترفعون أعينكم نحو الله أن يكونوا عبيدا للبشر؟ أما دعاكم يسوع إخوة، فكيف يدعوكم الشيخ عباس خادما؟ أما جعلكم يسوع أحرارا بالروح و الحق، فكيف يجعلكم الأمير عبيدا للحيف و الفساد؟ أما رفع اليسوع رؤوسكم نحو السماء، فكيف تخفضونها إلى التراب؟ أما سكب النور في قلوبكم فكيف تغمرونها بالظلام))[1]

إلى أن يقول:((سوف تتعلم الأجيال الآتية المساواة من الفقر و المحبة من الأحزان))[2]. فهذه الطبقية التي عانت منها أمم كثيرة على غرار لبنان فهي موجودة في كل مكان الظلم، التعدي، وتسلط القوي، على الضعيف و الغلو في إفقار الفقراء واغناء الأغنياء كان يجري أيضا في أمريكا بلد الثروات الصناعية و الزنوج المضطهدين.

والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا به ويستحك الأموات لو نظروا

فالسجن و الموت للجانين إن صغروا و المجد و الفخر ولإثراء إن كبروا

فسارقوا الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر

وقاتل الجسم مقتول بفعلته وقاتل الروح لا تدري به البشر

ليس في الغابات عدل لا ولا فيها العقاب

فإذا الصفصاف ألقى ظله فوق التراب

لايقول السر هذي بدعة ضد الكتاب

لايقول عدل الناس ثلج إن رأته الشمس ذاب

أعطيني الناي وغني فالغنا عدل القلوب

[1] – جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة،ص30.

[2] – المرجع نفسه،ص31.

وأنين الناي يبقى بعد أن تفنى الذنوب[1]

ب– المرأة والحرية.:

لقد دافع جبران عن المرأة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من هذا المجتمع وما تعانيه من تعسف ومظالم المجتمع، فعبر عن ذلك من خلال" مالاتا البانية" و" وردة الهاني" وسواهما من أقصوصاته حتى باتت عملية الدفاع لهذه المعاناة حافزه التحريضي الأولى لأحكامه الفكرية حول شخصية المرأة ودورها، ناظرا إلى ظلم البشر للمرأة من خلال زاويتين: زاوية الأنثى التي تتسلط عليها قدسية المحرمات فتجعلها بؤرة للإثم أو مثالا للطهر. وزاوية الكائن الضعيف الذي يسرف في إغلال الفقر، وقد دمج في ذلك بين مشاعر التدني الطبقي، ومشاعر الحرمان، وهاجس عطفه على الفتاة، التي كمان يرسم جسدها العاري إذا كانت فقيرة، ويخشى عليها من التعدي مظهرا رغبته في حمايتها فقد أحب جبران الام وجعلها حياة وموت أبدية في قوله:((هي كالحياة يمتلكها كل البشر وكالموت تتغلب على كل البشر، وكالأبدية تضم كل البشر))[2]. فبضل المرأة حقق جبران ذاتيته وفرض وجوده وأظن أن جبران قدر هذا الجميل للمرأة بطريقته الخاصة وهي الكتابة و الرسم فكتاباته لا تخلو من الحديث عن المرأة ولوحاته كذلك و المتعمق في دراسة أدب جبران سيصل إلى أن جبران بم يتعلم مع المرأة ككائن إنساني بقدر عميق في تشكيل أذواقه وميوله النفسية و الفنية وتوصلت الدراسات النفسية إلى أن شوق والدة جبران إلى الانتماء لسلك الراهبات، كان دافعا قويا مباشرا لوقوفه ودفاعه عن المرأة ظالمة أو مظلومة، ومال ميولا واضحا للمرأة التي تتصف بالعفة و الطهارة، و الفضيلة و الشرف، ويتهم المجتمع و تقاليده الفاسدة وعاداته البالية، أنها هي التي تدفع المرأة في الخطأ، وفوق كل هذا يستقها ويدوس غليها ولا يحميها، بينما الرجل يسامحه ويغفر له بحجة التوبة و الغفران، والرجولة والحق في التجربة، إذن هذه القضايا هي

[1] - جبران خليل جبران، المواكب، دار العربي للبستاني، القاهرة مصر ،دت،ص13.

[2] – غسان خالد، جبران الفيلسوف،ص63.

التي أشعلت، وأوقد ثورته للدفاع عن المرأة وهذه فقرات يعبر فيها جبران على الظلم الذي تعانيه المرأة، على لسان "سلمى كرامة" وهي من أروع الابتهالات التي خطها القلم الجبراني ((ورفعت "سلمى" إذ ذالك رأسها نحو السماء المزينة بالكواكب ومدت إلى يدها الإمام وكبرت عينيها وارتجفت شفتاها وظهر على وجهها المصفر كل ما في نفس المرأة المظلومة من الشكوى و القنوط و الألم،ثم صرخت قائلة: ماذا فعلت المرأة يارب فاستحقت غضبك؟ ماذا أتت من الذنوب ليتبعها سخطك إلى أخر الدهور؟هل اقترفت جرما لانهاية لفظاعته يكون عقابك لها بغير نهاية؟ هل اقترفت جرما لانهاية لفظاعته يكون عقابك لها بغير نهاية؟ أنت قوي يارب وهي ضعيفة فلماذا تبيدها بالأوجاع؟ أنت عظيم وهي تدب حول عرشك فلماذا تسحقها بقدميك؟ أنت عاصفة شديدة وهي كالغبار أمام وجهك فلماذا تذريها على الثلوج؟ أنت جبار وهي بائسة فلماذا تحاسبها؟ أنت بصير عليم وهي تائهة عمياء فلماذا تهلكها؟ أنت توجدها بالمحبة فكيف بالمحبة تفنيها؟ بيمينك ترفعها إليك وبشمالك تدفعها إلى الهاوية وهي جاهلة لا تدري أنني ترفعها وكيف تدفعها؟ في فمها تنفخ، وفي قلبها تزرع بذور الموت على سبل السعادة تسيرها راجلة ثم تبعث الشقاء فارسا ليصطادها، في حنجرتها تبث نغمة الفرح ثم تغلق شفتيها بالحزن وتربط لسانها بالكآبة. بأصابعك الخفية تمنطق باللذة أوجاعها،وبأصابعك الظاهرة ترسم هالات الأوجاع حول ملذاتها، في مضجعها تخفي الراحة و السلامة وبجانب مضجعها تقيم المخاوف و المتاعب... أنت أنت يا رب قد فتحت عيني بالمحبة و بالمحبة أعميتني، أنت قبلتني بشفتيك وبيدك القوية صفعتني، أنت زرعت في قلبي وردة بيضاء وحول هذه الوردة أنبت الأشواك و الحسك أنت أو ثقت حاضري فتى أحبة وبجسد رجل لا أعرفه، قيدت أيامي فساعدني لأكون قوية في هذا الصراع المميت وأسعفني لأبقى أمينة وطاهرة حتى الموت... لتكن مشيئتك يا رب اسمك مبارك إلى النهاية))[1]فهدف جبران الأول في دفاعه عن المرأة اجتماعي، وقد مثلت أغلب زوايا قصته " أجنحة متكسرة"

[1] - جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة،ص25..

تصويرا لواقع المجتمع الفاسد من تخلف وذل ورضوخ للظلم، و الإشارة إلى طاعة عمياء لرجل الدين مهما كان من السوء، كما أشار إلى المرأة في المجتمع التي اعْتُبَرت سلعة لا إرادة لهان ولا معنى لوجودها، معطلة القدرات لا تسهم في بناء المجتمع، فالمرأة تزوج رغم إرادتها، لذلك هي ضد الشرائع التي سنها هؤلاء المستغلون و المستبدون وبإرادة المرأة، فهكذا ظلمت المرأة وحرمت من أبسط حقوقها فحرمها منها كل الذين يمثلون الإقطاع الزراعي و السياسي و الدين يمثلون بأقربائهم ذوي رؤوس الأموال.

وقد عبر جبران بكلمات رشيقة وتراكيب قوية و العبارات الجميلة، كتب جبران رسالة إلى" مي" يعترف فيها بالجميل الذي أعطته له المرأة بداية من والدته إلى أخته إلى" املي ميتشل" إلى" ماري هاسكل" وإلى غيرهن:((أنا مديون بكل ما هو أنا إلى المرأة منذ كنت طفلا حتى الساعة، و المرأة تفتح النوافذ في بصري و الأبواب في روحي، ولولا المرأة الأم، والمرأة الشقيقة، والمرأة الصديقة لبقيت هاجعا مع هؤلاء النائمين يشوشون سكينة العالم بغيظهم))[1]

فلانفتاح الوجداني على الحرية الإنسانية الذي اكتسبه جبران من الثقافة الأمريكية و الأوربية كانت حافزا منطلقا له انفعالية وعقلية للدفاع عن الأنثى الضحية. فهو القائل: ((أليست المرأة الضعيفة هي رمز الأمة المظلومة؟))[2]. ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن رأيه هذا هو جزء أفكار متلاحقة، تنصب على عقدة أساسية قيدت إدراكه، هي البحث عن العدل بين البشر، فمهدته هذه الحاجة إلى العدالة بطابع الإصرار حينا، أخر، وحتى بطابع الهذيان، ونحن لا نلوم الضحية- المرأة- إذا تخبطت بدمائها ووزعت تهمها على البشر أجمعين، لا نلومها إذا نسفت أساسات المجتمع الذي سبق له أن ذبحها.

لقد شهدت هذه الأرض، على ما نعرف، أوضاعها اجتماعية و سياسية شبيهة إلى حد بعيد بالحالة التي كانت سائدة في فرنسا قبل ثورة 1789، فالتسلط الديني المنجرف، و الظلم

1 – جميل جبر، جبران سيرته أدبه فلسفته، رسمه، دار الريحاني للطباعة، بيروت ،1958،ص167.

2 – غسان خالد، جبران الفيلسوف،ص150.

القضائي و الاجتماعي، واغتراب الإنسان عن ذاته. كانت مسرحا مثلث القوي يسطو على منازع الفرد وعلى حرية مسلكه فالحرية كلمة لم تكن قد ولجت بعد في قاموس الناس بمعناه الفردي و الاجتماعي الحقيقي، إنه المجتمع المنغلق على نفسه، أو العائش في ظل الانغلاق، الذي يجتر برتابة غريزية مخلفات التاريخ من المفاهيم الخلقية و الاجتماعية و الدينية. فقد كانت المفاهيم الخاصة بتحديد الإنسان ووجوده، تفرض على الفرد كاملة التكوين، مستكملة شروط تبنيها من قبل الخلف بتمسك السلف بها.

إلى جانب كون عقدة الخوف من حكم الناس وضغطهم هاجسا أقوى من كل إرادة، مطابقا في ذلك مبدأ((الخلفية المستقلة التي تحدث عنها "هنري برغسون" في كتابه (منبع الأخلاق الدين)))[1].والتي يستحيل على المرء الخروج من تسلطها إلا بكسر الطوق الاجتماعي، لذلك كان لابد لجبران من أن يرتد بعنف وأن يكسر الطوق الاجتماعي، فتتسم رؤيا الفلسفية بسمة التمرد الثوري، زكان بذلك يثأر لذاته الجريحة ولأقرانه المساكين من الناس، عارضا أفكاره بحدس عقلي فطري وذوق سليم.فقد اتخذ نقده الاجتماعي في الغالب خطأ خلقيا ينظر من خلاله إلى الإنسان وإلى المجتمع وإلى الوطن لذلك استقرت اجتهاداته على مجموعة من المبادئ الطبيعية التي ينبغي أن تشكل الأسس الحقوقية في حياة الإنسان، فكان بذلك صدى لحاجات أمته إلى العدالة، على غرار ما كانت كتابات روسو و مونتيسكيو وقولتير وديدرو أصداء لحاجات المجتمع الفرنسي إلى العدالة قبيل الثورة الفرنسية سنة 1789، تؤازر في ذلك كتابات بعض المفكرين المصلحين الذين سبقوا أمثال فرح أنطوان وشيلي الشميل. وقد سعى جبران لدعوته التحريرية هذه إلى أمور أساسية: التدين وحقوق المؤمن وحقوق المرأة، الطبقية و العادلة، المساواة تحقيقا للكمال. والعصب الأساسي في كل ما شاء قوله هو رفقة لتسلط القوى الخارجية، كالجسد و المال و الآلة والنواميس و الطغاة على الجوهر الفطري للإنسان تكبت فيه حرارة الحرية...((نظرت فلم أر فقراء ولا ما يزيد

[1] -- غسان خالد، جبران الفيلسوف،ص124.

عن الكفاف بل ألفيت الإخاء و المساواة، ولم أر طبيبا. إذ كل غدا طبيب ذاته بحكم المعرفة و الاختيار، ولم أر كاهنا لأن الفقير أصبح الكاهن الأعظم، ولم أر محاميا لأن الطبيعة قامت بينهم مقام محكمة تسجل معاهدات الألفة و الوئام))[1]. وجبران قدس الحرية وفضل أن الموت في سبيلها شهيدا طاهرا على أن يحي ضعيفا مستسلما وذلك الرأي ربحا استقاه من دين الإسلام الذي يدفع الحرية وشهداءها إلى السماوات ويجعلهم أحياء رغم أنهم في نظر الناس أموات.ونظرا لحب "جبران" وشغفه للحرية رسمها في لوحة من أروع لوحاته إلى جانبها الدين والعدل حيث في صورة فتى بجناحين يحاول تكبل رجليه وتمنعه عن فعل ذلك وهي حبال غليظة وصلبة لا السيف الحاد ولا السكين يستطيع قطعها لأنها حبال رغائب وشهوات أرض وربما كان ذلك الفتى"جبران" نفسه:

والحر في الأرض يبنى من منازعه سجنا له وهو لا يدري فيؤتسر

فن تحرر من أبناء بجدته يظل لمن يهوى ويفتكر

فهو الأريب ولكن في تسلبه حتى وللحق بطل بل هو البطر

وهو الطليق ولكن في تسرعه حتى إلى أوج مسجد خالد صغر

ليس في الغابات حر لا ولا العبد الذميم

إنما الأمجاد سخف وفقاقيع تعوم

فإذا ما اللوز ألقى زهرة فوق الهشيم

لم يقل هذا حقير وأنا المولى الكريم

اعطني الناي وغني فالغنا مسجد أثيل

وأنين الناي أبقى من زنيم وجليل[2]

وقد اختلفت نظرة جبران للحرية بحسب اختلاف موضوعاتها فقد ثار على الأمة العربية التي سلبت منها حريتها، وحرض المرأة المقيدة بسلطة الرجل، وتمرد عللا رجال الدين و الشرائع،

[1] – جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة،ص35.

[2] - جبران خليل جبران، المواكب، ص20.

وعلى القوانين المجحفة وعلى العادات و التقاليد السيئة((من أعماق ننادیك أيتها الحرية، فاسمعينا من جوانب هذه الظلمة نرفع أكفنا نحوك فانظرينا... رافعين الرماح التي خرقت صدورهم، ساجين القيود التي أبادت أقدامهم...ترفع نحو العيون مغمورة))[1]. فبدون الحرية يعيش الإنسان في مجتمعه في غمرة الذل والهوان، والدموع و الاحتقار فيبني في طريقه جدار صلب يمنعه أن يتنفس أينما شاء، وكيفما شاء، وساعة ما شاء، ولذا يجب كسر قيود العبودية مهما كانت:

((جلست وحيدا في وادي الأشباح هناك رأيت شبحا هزيلا يسير منفردا محدقا وجه الشمس فأسالته:

من أنت:

وما اسمك:

قال: اسمي الحرية.

وقلت أين أبناؤك.

قال: واحد مات مصلوبان، وواحد مات مجنونا، وواحد لم يولد بعد.))[2].

فالمصلوب هو" المسيح" الذي شغف"جبران" بتعاليمه وآياته ومواقفه ومبادئه، المجنون هو الفيلسوف الألماني "فريديريك نيتشه" الذي تأثر "جبران" بفلسفته، أما الذي لم يولد بعد يقصد به " النبي المصطفى، إلى وعد سكان" أورفليس" بالعودة ثانية. فبالحرية تتحقق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد وبها يصل الإنسان إلى حقوقه وحقوق أخيه الإنسان، لتكون بذلك قصة الإنسان و الحرية: ((ثم قال له خطيب: هات حدثنا عن الحرية.

فأجاب قائلا:

---

[1] – نبيل كرامة،جبران خليل جبران و القومية العربية، منشورات دار الرابطة الثقافية والعربية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت لبنان، ،دت،ص46.

[2] – حبيب مسعود، جبران حيا وميتا،ص315.

قد طالما رايتكم ساجدين على ركبكم أمام أبواب المدينة وإلى جانب المواقد تعبدون حريتكم. وأنتم بذلك أشبه بالعبيد الذين يتذللون أمام سيدهم العسوف الجبار يمدحونه وينشدون له وهو يعسل السيف في رقابهم. نعم، وفي غابة الهيكل، ظل القلعة، كثيرا ما رأيت أشدكم يحمل حريته كثير ثقيل لعنقه وغل متين ليديه ورجليه. رأيت كل ذلك فذاب قلبي في أعماق صدري،ونزفت دماؤه لأنكم لا تستطيعون أن تصيروا أحرارا حتى تتحول رغبتكم في السعي وراء الحرية إلى سلاح تتسلحون به، وتنقطعوا عن التحدث الحرية كغابتكم وما حاجتكم. أنكم تصيرون أحرار بالحقيقة إذا لم تكن أيامكم بلا عمل تعلمونه ولياليكم بلا حاجة تفكرون بها، أو كابة تتأملون لذكراها. بل تكونون أحرارا عندما تنطق هموم الحياة وأعمالها احقائكم بمنطقة الجهاد و العمال، وتثقل كاهلكم بالمصائب و المصاعب ولكنكم تنهضون من تحت أثقالها عراة طليقين. لأنكم كيف تستطيعون أن ترفعوا إلى ما فوق أيامكم ولياليكم إذا لم تحطموا السلاسل التي أنتم أنفسكم في فجر إدراككم قيدتم بها ساعة ظهيرتكم الحرة؟

إلا أن ما تسمونه حرية إنما هو بالحقيقة أشد هذه السلاسل قوة، وأن كانت حلقاته تلمع في نور الشمس وتخطف أبصاركم...، وهكذا الحال في حريتكم، إذا حلت قيودها لمست هي نفسها قيدا لحرية أعظم منها.))[1]

[1] – جبران خليل جبران، النبي،ص41.

ثانيا: الأصول الدينية

أ- القرآن الكريم و المسيحية:

لقد امن "جبران" بوحدة الأديان و التي استمدها من الأفكار الهندية، وعن الفنان الإنجليزي "وليم بلايك" والكاتب الأمريكي "إمرسون"، وقد تأثر تأثرا شديدا للإسلامي المتصوف " الحسين بن منصور الحلاج" الذي يرى أن الأديان كلها تسعى وراء حقيقة واحدة ولكن وجهات النظر فقط هي التي تختلف. فدين جبران" هو كل الأديان هو دين العمل و الحرية و الحق و الجمال و الروح و العدل... و الله هو الذي يختار لكل قوم أو أمة دينها، أما الإنسان فهو مسير لا مخير في اختياره لدينه وهي نفس نظرة فرقة" المعتزلة". وجبران يعد من أكثر المفكرين اهتماما وفهما للدين ونظرة للظلم و العنف و النفاق و الاحتيال و الكذب الذي اتصف به بعض رجال الدين. ووضح جبران أن الله موجود في كل مكان حيث يقول:((إن شئتم أن تعرفوا الله، فلا تحصروا اهتمامكم في حل الألغاز، بل بالأحرى أن تمتعوا النظر فيما هو حولكم، وإذا ذاك تبصرون الله يلعب مع أولادكم أنظروا إلى الفضاء تبصروه يمشي في الغمامة باسكا ذراعيه في البرق هابط إلى الأرض مع المطر،وانظروا إلى الأرض تروه في الأزهار، ثم ترو يرتفع ويلوح بيديه من أعال الشجر))[1] .

ولقد استمد جبران أصوله من هذه الأديان خاصة المسيحية، ورغم ذلك فقد تخير جبران المسيحي مادته من القران الكريم. لما وجد نفسه في حاجة إليه وكما توسم فيها تلبيته لرغبات نفسه الجامعة و المغتربة، حيث كانت نظرة جبران إلى المؤمنين بدين غير دينه في تقدير وحب واستمرار التقاليد العربية طالما أظهر جبران اعتزازه بهما ومن القرآن الكريم أخذ اسم" أرم ذات العماد" وهي مدينة التي ورد ذكرها في سورة الفجر:((ألم ترى كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد))[2].سورة الفجر الآية 05 . وصورها جبران صورة غابة صغيرة زاخرة بالثمار و الأشجار، تحتضي بيتا قديما، وتقوم على مقربة

1 – جبران خليل جبران، النبي،ص50.

2 – القرآن الكريم، سورة الفجر، الأية5.

من قرية"الهرمل" التي يسكنها الشيعة في شمال شرق لبنان. وجمع فيها بين ثلاث شخصيات:"زين العابدين"،"نجيب رحمة"،و"آمنة العلوية"

((آمنة العلوية: جئتنا أيها اللبناني متنسما أخبارنا مستفحصا حالنا. ولن تجد بنا إلا ما بك، ولن تسمع منا إلا ما عرفته في نفسك.

نجيب– مفعولا: ها قد رأيت وسمعت وصدقت واكتفيت.

العلوية: لا تكن قنوعا بالقليل، فمن يرد ينابيع الحياة بجرة فارغة صرف بجرتين طافحتين إنا نرى بعينيك نورا من أنوار الله، ومن ينظر إلينا ونور الله في عينيه يرى حقيقتا عارية مجردة، و إنا نرى بوجهك ما يدفعه الإخلاص عن الاستطلاع إلى الرغبة في الحق،فإن كان لسانك كلمة فقلها فنحن إليك مصغون.إن كان في قلبك سؤال فاطرحه فنحن مجيبون.

نجيب: جئت مستعلما عن أمر يتحدث الناس به لغرابته، ولكني ما وقفت بحضرتك حتى علمت أن الحياة مظاهر الروح الكلية،فكان مثلي مثل صياد ألقى شبكته في البحر ليصطاد سمكا ولما اجتذبها إلى الشاطئ وجد فيها صورة من الحجارة الكريمة.

العلوية:جئت تسألنا عن دخولنا ارم ذات العماد؟

نجيب: نعم يا سيدتي منذ حداثتي وهذه الكلمات الثلاث ارم ذات العماد تعانق أحلامي وتتمشى مع خيالي بما ورائها من الرموز و المقاصد الخفية.

العلوية– ترفع رأسها وتغمض عينيها بصوت يخاله أتيا من قلب الفضاء تقول: أجل قد بلغنا المدينة المحجوبة ودخلناها وأقمنا فيها وملأت روحنا من أريج وقلب من أسرارها وجيوبنا من لؤلؤها و ياقوتها، فمن ينكر علينا ما شاهدناه وعرفناه كان ناكرا لذاته أمام الله.

نجيب: هل دخلت أرم ذات العماد بالجسد أم بالروح وهل هي مدينة مصنوعة من عناصر الأرض المتبلورة وقائمة في بقعة معلومة من الأرض أم هي مدينة روحية ترمز عن حالة روحية يبلغها أنبياء الله وأولياؤه في غيبوبة يلقيها الله على نفوسهم.

العلوية: ليس ما نراه على الرضى ومالا نراه سوى حالات روحية. وأنا قد دخلت المدينة المحجوبة بجسدي وهو روحي الظاهرة ودخلتها بروحي وهي جسدي الخفي.

نجيب: إذا فالمدينة المحجوبة التي ندعوها بارم ذات العماد حالة روحية؟))[1].

وقد أحب جبران الرسول عليه الصلاة و السلام، وعظم ومجد دين الإسلام ورغم أنه لم يحتك بالبيئة الإسلامية فهو يعترف من الشاعر المسيحي:((أنا مسيحي ولي فخر بذلك ولكنني أهوى النبي العربي وأكبر اسمه وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله،أنا أكره الدزلة العثمانية لأني أحب الإسلام وعظمة الإسلام، ولي رجاء برجوع مجد الإسلام. أنا أجل القران الكريم ولكنني أزدري بمن يتخذ القران وسيلة لإحباط مساعي المسلمين، خذوها يا مسلمون كلمة من مسيحي أسكن" يسوع" في شطر من حشاشته، " وحمدا" في الشطر الثاني.إن لم يتغلب الإسلام على عدوه الداخلي))[2]. فجبران تأثر بالدين الإسلامي الذي أقنعه بحكمة بلاغته و آياته وحججه وقيمه ومبادئه.

كما أننا نجد في الإنجيل أصدق مرجع يمكننا الجزم بأنه شكل المنبع الأساسي ليقظة الوعي الفلسفي عند" جبران" فقد ركز مفكرنا إطلالاته الأدبية الأولى تعنيف الذين ليفهمون رسالة المسيح فيحرفون أقوال الإنجيل لمصالحهم الشخصية و على التلميح إلى أن" يوحنى المجنون" الممثل الواضح لشخصية" جبران"،فقد قرأ الإنجيل بنفسه خفية وأنه استنادا إلى هذه القراءة يتمرد على رجال الدين، ويدعو إلى فهم جديد واع لكتاب يسوع، كما أننا نلحظ تأثير ظاهريا مباشر للإنجيل عليه، لاستعماله بعض الشكليات البيانية الخاصة به، كأسلوب الوعظ و الإرشاد واعتماد طريقة المثل الصغير الذي يورد حكاية بسيطة مقتضية تدور حول فكرة فلسفية أو خلقية متعلقة بالواقع الإنساني أو بمصيره على غرار أمثال المسيح وحكايته، ولا تستغرب ذلك بما أن "جبران" مسيحي.فقد حافظ إذا على إيمانه بالمسيح وبإنجيله. والمسيح كلمة شغلت بال "جبران":((فقالت رحيل:كثار هم الذين يعيشون حسب العاطفة الخفية الكائنة في قلوبهم وكثار هم الذين يعتقدون أن هذه العاطفة في ظل القاموس الذي سنه الله للإنسان. ولكنهم لا يفرحون البتة بأيامهم بل يظلون تعساء حتى الموت.

1 – جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة بالعربية، دار صادر، بيروت لبنان، ،د ت،ص509.

2 – نبيل كرامة، جبران خليل جبران والقومية العربية،ص32.

فأجابها خليل قائلا: باطلة هب الاعتقادات والتعاليم التي تجعل الإنسان تعسا في حياته. وكذابة هي العواطف التي تقوده إلى اليأس و الحزن و الشقاء. لأن واجب الإنسان أن يكون سعيدا على الأرض وأن يعلم سبل السعادة ويركز باسمها أين ما كان. ومن لا يشاهد ملوكات السماوات في هذه الحياة لن يراه في الحياة الآتية لأننا لم نجئ هذا العالم كالمنفيين المرذولين. بل جئنا الأطفال الأغبياء لكي نتعلم من محاسن الحياة وأسرارها عبادة الروح الكلي الخالد واستطلاع خفايا النفوس. هذه هي الحقيقة التي عرفتها عندما ثرأت تعاليم يسوع الناصري وهذا هو النور الذي انبثق من داخل وأبان الدير ومن فيه كهوة مظلمة تنبعث من أعماقها الأشباح المخفية لتميتني.

هذا هو السر الخفي الذي أعلنته البرية الجميلة لنفسي عندما كنت أجلس جائعا باكيا متأوها في ظل الأشجار.ففي يوم وقد سكرت نفس من هذه الخمرة السماوية تشجعت ووقفت بين الرهبان إذ كانوا جالسين في حديقة الدير مثلما تربض البهائم المتخوفة، وأخذت أبين لهم أفكاري وأتلو على مسامعهم آيات الكتاب التي تبين ضلالهم وكفرهم))[1].((قد سمعتم بأمر الله قال للإنسان الأول: بعرق جبينك تأكل خزك، فلماذا يأكل الشيخ عباس خبزه مجبولا بعرق جبينهم ويشرب خمره ممزوجة بدموعكم؟ هل ميز الله هذا الرجل وجعله سيدا إذ كان في رحم أمه؟. أم غضب عليكم لذنوب مجهولة وبعثكم عبيدا إلى هذه الحياة لكي تجمعوا غلة الحقول ولا تأكلوا غير أشواك الأودية، وتقيم القصور الفخمة ولا تسكن غي الأكواخ؟ قد سمعتم بأن يسوع الناصري قد قال لتلاميذه: مجانا أخذت مجانا أعطى لا تقتنوا فضة ولا ذهبا ولا نحاسا في مناطقكم إذا أي تعاليم أباحت للرهبان و الكهان بيع صلواتهم وتعازيمهم بالفضة والذهب؟ أنتم تصلون في سكينة الليالي قائلين: أعطنا يا رب خبزنا كفاف يومنا. والرب قد وهبكم هذه الأرض أتعطيكم الخبز الكفاف فهل وهب رؤساء الأديرة السلطة

1 – جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة،ص62.

لانتزاع هذا الخبز هذا الخبز من بين أيديهم))[1].فهناك تقارب بين تعابير ومعاني الإنجيل للسيد المسيح، وبين معاني وتعابير" جبران" فقد تأثر "جبران" كثيرا بتعاليمه.

والدين في الناس حقل ليس يزرعه غير الالي لهم في زرعه وطر

من أمل بنعيم الخل مبتشر ومن جهول يخاف النار تستعر

فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا ربا ولولا الثواب المرتجي كفورا

كأنما الدين ضرب من متاجرهم إن وأظبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

ليس في الغابات دين لاولا الكفر القبيح

فإذا البلبل غنى لم يقل هذا الصحيح

إن دين الناس يأتي مثل ظل ويروح

لم يقم في الأرض دين بعد طه و المسيح

أعطني الناي وغني فالغنا خير الصلاة

وأنيين الناي يبقى بعد أن تفتنى الحياة[2]

فهكذا أمن جبران بوحدة الأديان وهي روابط تشد الإنسان إلى أخيه، فهي مع اختلافها دين واحد ومع إيمان جبران بوحدة الأديان فنه يحتفظ بيسوع في نصف صدره وبمحمد في النصف الأخر ويهمس إلى كل مواطن يعيش في العالم العربي:((أنت أخي، وأنا احبك،احبك ساجدا في جامعك، وراكعا في هيكلك، ومصليا في كنيستك،فأنت وأنا دين واحد هو الروح، زعماء فروع هذا الدين أصابع ملتصقة في يد الألوهية المشيرة إلى كمال النفس))[3].

ب– التناسخ:

1 – جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة،ص67.

2 _ جبران خليل جبران، المواكب، ص20.

3 – ثروت عكاشة، روائع جبران خليل جبران، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط2،دت،ص40.

عقيدة التناسخ هي فكرة هندية قديمة، أمن بها جبران وجعلها مبدأ من مبادئ حياته وعقيدة لابد الاعتقاد بها، فاحتكاكة بالبيئات المختلفة وقراءته للمعارف التاريخية و الدينية على أنواعها هي التي جعلته يؤمن بها، فهو مصدر أو أصل الديني في الحضارة الصينية الهندية، لميوله الهندية الإصلاحية التي غالبا ما عبر عنها في التقمص((وهو مبدأ ديني قديم انتشر في بقعة بين الهند و الصين في بقعة مشتركة تدعى التبت))[1].وقد استمد جبران التناسخية من عيشه اليومي،فنفذت إلى عقله حينما باطنا يلازمه مدى عمره،إننا نعلم أنه نزل مع أمه " الحي الصيني"في بوسطن وغالبية السكان كانوا من الصينيين فمعاشرته لسكان الحي أدخلت في روعة بعض المعتقدات الصينية، وفي جملتها التقمص فتشرب جبران الفتى البائس العائش في حي البؤساء روح هؤلاء الصينيين، وأمن بمبدأ لهم يعتبر من أسس قواعد الإيمان الديني في الصين و الهند:((وهي أقصى ما وصلت إليه الفلسفات الشعرية القديمة من حلول لقضية الإنسان الكبرى وكل ما يتعلق بقضايا الخير والشر و الفناء و الخلود))[2]وتقول هذه العقيدة إن الموتى الذين لم ينهوا دورة الحياة الكاملة يعودون حتميا إلى الأرض ليجددوا فيها ويكملوا على العلائق التي تركوها عند موتهم فالأنفس هي أجزاء من النفس الكلية، وعلى النفس المدنسة باديان المادة،لن تتمظهر في مجيئها مرات إلى الوجود. قبل أن تتخذ من جديد بالنفس الكلية فترجع إلى صفائها الأول،وقد ابد "أفلاطون" في "فيرون" هذه النظرية مستندا إلى قاموس المتناقضات في الطبيعة ((الحياة تولد من الموت و الموت يأتي من الحياة وفي نظريته قد يتذكر الإنسان أشياء عرفها في وجود أسبق))[3].

وأثر هذه العقيدة نلمسه بشكل واضح في كتابات جبران و يعترف أنه في عقيدة التناسخ:

1 – الموقعwww.goole.com

2 – جميل جبر، جبران سيرته أدبه رسمه، ص115.

3 –جميل جبر، جبران سيرته أدبه رسمه، ص115.

((وجد مفتاح الحياة، والموت، ومصباحها ينير سراديب العلاقات بين الناس))[1].ويقول في رسالة بعثها إلى" ماري هاسكل" سنة 1915((الموت بالذات هو جزء من الحياة ورغم أني مت في خلال السنين الخمس إلا أن علامات الموت لا ترسم عليا))[2].فما دام الوجود عند جبران يمتد إلى أعمق من مفهومه فهو إذا قائم بذاته، وفكرة الموت عنده تعني الانتقال إلى عالم أخر وليس العدم، وجبران يؤمن أن العمر الذي يعيشه الإنسان على هذه الأرض ما هو إلى جزء ضئيل من الحياة الفانية فهو يسير فوق درب الحياة الأزلية ليصل نحو حياة أبدية. ويؤمن من أيضا أن تنافس لا تستطيع أن تنفصل عن الجسد و ‘ذا ما انفصلت الروح عن الجسد فإن هذه الروح ستعود إلى الحياة ثانية في أجساد جديدة، وتنتهي الدورة بالنسبة له بعمر واحد لا مرة واحدة فجبران، ضل وفيا ومخلصا ومتمسكا بعالم الغيب وعودة الروح وتناسخ الأرواح حسب المفاهيم الإغريقية القديمة..

((فالوداع الوداع يا أبناء أورفليس، قد غربت شمس هذا اليوم، وأغلق علينا أبوابه كما تغلق زنبقة الغور أوراقها على غدها.فكل ما أعطينا هاهنا سنحفظ، وإذا لم يكن كافيا لسد حاجاتها فإنها نأتي ثانية إلى هذا المكان ونمد أيدينا معا أعطانا.

ولا تنسوا أنني سآتي إليكم مرة أخرى، فلن يمر زمن قليل حتى يشرع حنيني في جمع الطين و الزبد لجسد أخر قليلا ولا ترونني،قليلا وترونني لأن امرأة أخرى ستلدني.

أودعكم وأودع الشباب الذي قضية بينكم. فإننا في الأمس قد استمعنا كما في حلم.قد أنشدتم لي في وحدتي وبنيت لكم من أشواقكم برجا في السماء،ولكن عهد النوم فد انقضى والحلم قد مضى ولسنا الآن عند يزوغ الفجر...ثم تفرق الشعب كل في سبيله،بيد أنها ضلت وحدها واقفة على شاطئ البحر تردد في قلبها كلمات المصطفى الأخير: وقليلا ولا ترونني، وقليلا

1 – ميخائيل نعيمة، نابغة لبنان، دار الهلال،القاهرة مصر،ط1،دت، ص82.

2 عبد الرحمان زايد، القضايا الاجتماعية في أدب جبران، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة عين شمس ،القاهرة مصر،1995،ص51.

وترونني لأن امرأة ستلدني))[1].((أيتها الغمامة،يا أخت الغمامة. وأنا أنت شيء واحد. لم أكن ذاتا منذ زمن طويل، الجدران انهارت، والسلاسل انكسرت، وأنا ارتفعت إليك.وسنسجد معا إلى أن يأتي يوم الحياة الثانية، عندما يلقيك الفجر قطرات ندى في حديقة ويقذف بى طفلا في حضن امرأة))[2].

((أيها الأمير العظيم قد جاء المدينة بالأمس حكيم من حكماء الهند ذو أطوار غريبة ومذهب عديدة لم نسمع قط بمثلها، فهو يدعو الناس إلى الاعتقاد بتقمص الأرواح من جسد إلى جسد وانتقال النفوس من جيل إلى جيل حتى تبلغ الكمال، وتصير إلى مصف الآلهة، وقد جاء الليلة طالبا الدخول عليك ليبسط تعاليمه أمامك. فهز الأمير رأسه وقال متسما: من بلاد الهند تأتي الغرائب و العجائب فأدخلوا لنسمع حجته، ولم تمر دقيقة حتى دخل كهل أسمر اللون، مهيب المنظر ذو عينين كبيرتين، وملامح منفرجة، تتكلم بلا نطق عن أسرار عميقة وميول غريبة وبعد أن انحنى مستأذنا رفع رأسه وتلمعت عيناه و طفق يتكلم عن بدعته مظهرا كيف تنتقل الأرواح من هيكل إلى هيكل مرتقبة بعوامل الوسط الذي تختاره، متدرجة بتأثيرات الأمور التي تختبرها متمايلة مع الأمجاد التي ترفعها وتقويها، نامية مع الحب الذي يسعدها و يشقيها...ثم تطرق إلى كيفية انتقال النفوس من مكان إلى مكان باحثة عما تحتاج إليه من الكماليات مكفرة في حاضرها عن ذنوب اقترفتها في ماضيها مستغلة في بلد ما زرعته في بلد أخر.))[3] و التقمص في نظره ما هو إلا محاولة للوصول إلى الكمال، ولو أن الله وحده هو الذي يتمتع به، أمن جبران بهذه العقيدة فهل هذه العقيدة سترجع جبران وتلده امرأة؟ وسيعود حقا؟ وأن جبران بكل هذا وكان دائما مخلصا ووفيا فأين هو ياترى؟ هل ولدته امرأة أخرى؟ أم علينا أن ننتظر؟ ويوقظ التقمص عند جبران الشعور بأن الغلبة النهائية

1 – جبران خليل جبران،النبي،ص55.

2 – جبران خليل جبران، حديقة النبي،دار صادر بيروت،ط2،دت،ص17.

3 – جبران خليل جبران،العواصف، دار صادر بيروت،ط2،دت،ص10.

ستكون للإنسان الناهض من كفنه. كائنا متفوقا على التاريخ كاملا كيسوع وعاصفة إلهية كالمسيح.

هكذا تكون الحرية قد قادت جبران إلى نظرية التقمص كما قادة التقمص إلى الحلولية باعتبارها منفذ لسرمدية الإنسان؟ والله على حد سواء، فهل أنقذت الحلولية فعلا الله كما أنقذت الإنسان؟ وهل اتضح وجه الله في الرؤيا الجبرانية كما اتضح وجه الإنسان؟ وليس لنا إلا أن نأمل عودته الأخرى التقمصية إلى هذه الحياة كي يكتمل، فيكمل ما بدأه ويجيبنا عن مسائلات:((أنا ذاهب، ولكن إذا أ،ا ذهبت ولدي حقيقة لم اقلها بعد، فإن تلك الحقيقة نفسها ستسعى في تشداني وتلملمني، أعود إليكم مرة ثانية))[1].((أقول لكي يا أمي،ولا أقول لسواك، إني إذا انصرفت قبل تهجيه كلمتي ولفظها فإني سأعود لأقول الكلمة التي تتمايل الآن كالضباب في سكينة روحي))[2]

ج- التصوف:

الله الذي شكلت مسألة إثبات وجوده أقدم القضايا الفلسفية في تاريخ الفكر و أكثر استنفار للعقل، لم يكن عند" جبران" إن عقدة مستعصية الحل أو مسالة تحتاج إلى عناد كبير لفك أحجيتها. فقد واجه هذه المسألة بكثير من البساطة و العفوية، ناحيا في ذلك منحى عامة المؤمنين الذين يعتبرون الله حقيقة بديهية بعيد كل البعد عن الأحاجي و الألغاز بعيدة بتالي:- عن اجتهادات العقل- فانتمى في مواجهته لهذه المسألة إلى التيار الشاعري المتمثل قديما ببعض النازعين إلى التصوف" كابن الفارض" وحديثا ببعض الشعراء الملتزمين بالمعتقدات الفطرية ببيئتهم كالشاعر الهندي" طاغور"، فكما إن الفارض و طاغور يعتبران جمال الطبيعة تجسيدا مرئيا للجمال الإلهي في الوجود، ليعتبر كل الأشياء الجميلة الحركة أدلة صارخة على الحضرة الربانية((لأن الله لن يأذن بأن يخفى على الإنسان))[3]. لكن الذي

1 - جبران خليل جبران، حديقة النبي،ص45-46.

2 - غسان خالد، جبران الفيلسوف،ص218.

3 - جبران خليل جبران، حديقة النبي،50-51.

لم يتجنبه جبران فأعطاه بعض اهتمامه هو الهوية الإلهية بالنسبة للإنسان و للكون، وتبدو هذه الهوية من وجهة النظر الجبرانية بعيدة كل البعد عن التعين الشخصي للذات الإلهية، فالله ليس كيانا شخصيا فردا مستقلا في ذاته عن الكون، بأنه و الكون الظاهر و الخفي واحد في الجوهر وهذا لا يعني أنكر وجود الله أو الكفر به،لا إلا أننا تستنتج من حلولية مبادئ فلسفية: إيمانه بالله ليس كشخص مستقل متعال بل كروح كونية حالة في الوجود تتجسد ظاهريا في حركة العالم وأشيائه الجميلة، و حلوليته الإنسانية الوجه يبرز فيها وجه الإنسان كبير مختفيا وراءه إلى حد ما وجه الله كخالق متعال وكمحور فريد للوجود، ويشكل المسيح الروح الإلهية العاصفة في الكون وقد تجسدت أيضا عبر التاريخ بجميع الأنبياء، لتكتمل في المسيح الحال في شخص يسوع الناصري وهذا كله إلا يقربه من الفكر الصوفي الشرقي؟ اجل- إن في أفكار جبران هذه بذور صريحة لأفكار صوفية عرفتها القرون الغابرة في مؤلفات المتصوفين وصوامع متنسكين في شرقنا العربي.

((لا أستطيع أن أعلمك الصلاة بالألفاظ لأن الله لا يصغي إلى كلماتك ما لم يضعها تعالى اسمه على شفتيك وينطق بها لسانك.ولا أقدر أن أعلمك صلاة البحار و الأحراج و الجبال، بيد انك وأنت ابنة الجبال و الأحراج و البحار، تستطيعين أن تجدي هذه الصلاة محفورة على صفحات قلبك، فإذا أصفيت في سكينة الليل سمعت الجبال و البحار و الأحراج تصلي بهدوء وخشوع:

ربنا وإلهنا، يا ذاتنا المجنحة.

إننا بإرادتك نريد.

وبرغبتك نرغب ونشتهي.

بقدرتك تحول لياليناوهي لك، إلى أيام هي لك أيضا.

إننا لا نستطيع أن نلتمس منك حاجة.

لأنك تعرف حاجاتنا قبل أن تولد في أعماقنا.

أنت حاجتنا، وكل كما زدتنا من ذاتك زدتنا كل شيء))[1].

((وكان يقول: إن جاركم هو ذاتكم غير المعروفة، تتجسد أمامكم لتصير منظورة.فمباهجكم الهادئة ستعكس لكم وجهه، وإن تأملتم بها جيدا فأنتم ولا شك، ستنتظرون وجوهكم.

فاعملوا به نفس ما تودون أن يعمل هو بهم.

هذه شريعتي وأنا أقولوها لكم ولأولادكم وهم يقولونها لأولادهم حتى تنفق كنوز الزمان وتضمحل خزائن الأجيال. وفي يوم ثان قال لنا: لا تكن وحدك في حياتك لأنك تعيش في أعمال الآخرين وهم أن جهلوا يعيشون معك سحابة أيامك. إنهم لا يقترفون جريمة من غير أن تكون يدك من أيديهم))[2].فتيار بوسطن المشحون بالتيارات الفلسفية التي شاعت فيه، نزع من بواكرها إلى الحلولية كما رأينا، ولقد رأى " جبران " أن الحياة البشرية لا تبدأ في الرحم ولا تنتهي في اللحد بل إن السنين التي يقضيها الإنسان على الأرض إن هي لحظات من حياة أزلية، فالإنسان نهر من أودية أزلية نحو بحر الأبد:((أنا كنت منذ الأزل، وها أنا ذا و سأكون إلى أخر الدهر، وليس لكياني انقطاع))[3].

هذا إيمان قاطع بالخلود و الرجوع، وما لتبدل إلا في الهيئة و الصفة،كما أنه هناك إيمان قاطع بأن النفس البشرية شعلة معقدة،فصلها الله عن ذاته قبل ابتداء الدهر، وحين تنقص عن الجسد تذهب إلى فضاء لا شيء إلى ظل الله حيث النور و الراحة ثم تعود إلى جسد جديد لأن دورة الحياة لا تنتهي بعمر وحيد، وهذه إحدى مراحل التصوف.

ويعود مذهب التصوف في أصوله الأولى إلى قدماء الهنود و اليونان، ولم يتوسع انتشاره كتيار فلسفي ديني إلا بعد ما ظهرت المسيحية و الإسلام،لأن أهدفهم كانت روحية قبل أن تكون مادية، وقد حدد المتصوفون عبر التاريخ أربعة مبادئ عامة:- الزهد بالله-

1 - جبران خليل جبران، النبي،ص75.

2 - جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة المعربة، دار صادر، بيروت ،دت،ص233.

3- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة،ص91.

حب الله– المعرفة الإلهامية– الفناء بالله. وهذه المبادئ لم تبقى ثابتة ومقدسة لأن المفكرين اختلفوا في ذلك لاختلاف مصادر أفكارهم من إسلامية وفارسية وهندية وانتهجوا مبادئ واحدة في البداية كانت تتمثل أولا في اعتزالهم للمباهج الدنيوية، وثانيا استعدادهم الدائم للصلاة، وثالثا قهر الجسد لبلوغ نشوة الشعور بالاقتراب من الله، والباحث في كتابات" جبران " على اختلاف مراحلها يجدها لا تخلو من ألفاظ وتعابير صوفية:الشوق الجوع الروحي، الذات المعنوية النور الإلهي، فمسرحيته"أرم ذات العامد" كلها تأملات صوفية."فجبران" كثيرا ما اعتزل الناس، فصوفيته صوفية تحررية انتخابية وتفاؤلية ومستقبلية، فالقرابة بين"جبران" و التصوف واضحة في البعض من الأفكار و الميول المشتركة، فوحدة الوجود و الحلولية و التصوف يشارك فيهم"جبران" المفكرين الصوفيين أمثال:" أبي زيد البسطامي"،"والحلاج"،و" ابن عربي" وغيرهم.

((نجيب: أيأتي يوم يا سيدتي نعرف فيه بالاستقراء العلمي و الاختبار الحسي ما تعرفه أرواحنا بالخيال وما تختبره قلوبنا بالتشويق؟ وهل يتقرر لنا بقاء الذات المعنوية بعد الموت مثلما تقرر لدينا بعض الأسرار الطبيعية فنلمس بيد المعرفة المجرة ما نلمسه الآن بأصابع الإيمان؟.

العلوية: نعم سيأتي ذلك اليوم لكن ما احتل الذين يدركون حقيقة مجردة ببعض حواسهم ولكنهم يظلون مرتابين بها حتى تبدو لحواسهم الأخرى،ما اغرب من يسمع الشحرور مغردا ويشاهد مرفرفا متناقلا ولكنه يبقى مشككا بما يسمع وما رأى حتى يقبض بيده على جسم الشحرور. ما اغرب من يحلم بحقيقة جميلة ثم يحاول تجسيدها وحبسها بقوالب الظواهر فلا يفلح فيرتاب بالحلم ويجدد الحقيقة ويشك بالجمال، ما أجهل من يتخيل أمرا يتصوره بشكله ومعالمه وعندما يستحيل عليه إثباته بالمقاييس السطحية و البراهين اللفظية بحسب الخيال وهما و التصور شيئا فارغا ولكن لو تعمق قليلا وتأمل هنيهة لعلم أن الخيال حقيقة لم

تتحجر بعد وأن التصور معرفة أسمى من أن تتقيد بسلاسل المقاييس،وأعلى وأرحب تسحب بأقفاص الألفاظ[1].))

((واتسعت دوائر الرؤيا أمام عينيه، وانبسطت له خفايا الأسرار، فانفردت نفسه عن موكب الزمن المتسارع نحو اللاشيء ووقفت وحدها أما الأفكار المتناسقة و الخواطر المتسابقة، و لأول مرة في حياته عرف أو كاد يعرف أسباب" المجاعة الروحية" الملاحة شبيبة. وتلك المجاعة التي توحد بين حلاوة الحياة ومرارتها. تلك الظمأ الجامع بين تأوه الحنين وسكينة الاستكفاء. ذلك الشوق الذي لا تزيله أمجاد العالم ولا تثنيه مجاري العمر. لأول مرة في حياته شعر "علي الحسيني" بعاطفة غريبة أيقظها خرائب الهيكل. عاطفة رقيقة هي الذكرى بمنزلة البخور من المجامر))[2].

((واتكأ إذا ذاك إلى جانب الموقد، وكأنه وجد لذة في تأثير كلامه في، فرفع صوته أكثر من ذي قبل وزادا قائلا: لا لم اطلب الوحدة للصلاة و التنسك، لأن الصلاة وهي أغنية القلب، تبلغ أذان الله وان تصاعدت ممزوجة بصباح ألوف الألوف، وأما التنسك،وهو قهر الجسد وأمات فالمسألة لا مكان لها في ديني لأن الله بني الأجسام هياكل للأرواح وعلينا أن نحافظ على هذه الهياكل لتبقى قوية نظيفة لائقة بالألوهية التي تحل فيها.لا يا أخي لم أطلب الوحدة للصلاة والتقشف بل طلبتها هاربا من الناس وشعرائهم، وتعاليمهم، وتقاليدهم و أفكارهم وضجتهم وعويلهم))[3].فهو يرفض هنا حياة المتصوفين المعتكفين في معابدهم ومساجدهم. وأكد أن الصوفي لن يجد الله حتى يهجر صومعته فيحيا حياة تكون قدوة صالحة لغيره.ونستنتج إن الصوفية هي الدين والعقيدة التي يفضلها"جبران" ومما لا شك فيه أنه هو نبيها وزعيمها الداعي إليها، وقد عثر" حبيب مسعود" في عدد من مجلة"السائح" على الأبيات التالية "لجبران"تحت عنوان"الصوفي":

1 – جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة العربية ،ص513.

2 – المرجع نفسه،ص59.

3 – جبران خليل جبران، العواصف، ص70.

الحمد لله لا ملك ولا نشب ولا أليف ولا ولد ولا نسب

نسير في الأرض طيفا لانراه سوى من كان في ناظريه الطيف يحتجب

إذا ضحكنا ففي الأيام مضجعه وإن بكينا ففي أفرحنا السبب

ونحن روح فإن قلتم لنا عجبا قلنا وربكم في جسمكم عجبا[1]

كما أصر إصرارا شديدا على مبدأ المحبة كصفة خلقية أساسية لحياة الإنسان مشابها في ذلك لمبدأ الحب في التصوف وإذا شئنا الغلو في التقريب استندنا إلى ورسوم له وضعها لبعض أئمة التفوق كابن الفارض، والغزالي وغيرهما.

سكوتي إنشاد وجوعي نخمة وفي عطشي ماء وفي صحوتي سكر

وفي لوعتي عرس وفي غربتي لقا وفي باطني كشف وفي مظهري ستر

وكم أشتكي هما وقلبي مفاخر بهمي، وكم أبكي وثغري ويفتر

وكم أرتجي خلا وخلي بجانبي وكم أبتغي أمرا وفي حوزتي الأمر

وقد ينر الليل البهيم منازعي على بسط أحلامي فيجمعها الفجر

نظرت إلى جسمي بمرآة خاطري فألتقيه روحا يقلصه الفكر

فمن يراني و الذي مد فسحتي وبي الموت والنشوى وبي البعث و النشر

فلو لم أكن حيا فما كنت مائتا ولولا مرام النفس ما رامي القبر

ولما سألت النفس مالدهر فاعل بحشد أمانينا أجانت أنا الدهر.[2]

إن تفوق"جبران" جاء نتيجة المدينة الطاغية في عالمه الجديد وماديته الفاسدة وغالبية سكانها الذين لا تهمهم الأمور الروحية و الشرائع الخلقية بقدر ما يهمهم تكالبهم للحصول على المادة والمال،لذا اختار"جبران"أن يغترب بفكرة وذاته ووجدانه ومعتقداته عن طريق التفوق:((تعبت نفسي من معاشرة المتمولين الذين يظنون الشموس و الأقمار، و الكواكب لاتطلع إلا من خزائنهم، ولا تغيب إلا في جيوبهم، ومن الكهان الذين يعظون الناس بما لا يتعظون به

[1] - حبيب مسعود، جبران حيا وميتا، ص28.
[2] - جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة العربية، ص594.

ويطلبون منهم ما لا يطلبونه من نفوسهم، ومن الساسة الذين يتلاعبون بأمان الأمم وهم يذرون عيونها الغبار الذهبي ويملئون أذنها برنين الألفاظ))[1]

و"جبران" حين اختار الصوفية إلا لتكون وسيلة لإبطال مناحيها السلبية الانفرادية الجامدة، ولدفع الإنسان المدني نحو التفوق و الغلبة ولنقل فقط أنه واضع فلسفة إيحائية المنحى حلولية النظرة تقدمية الاتجاه توارى الزهد القديم في غياب التاريخ لتوقظ في الإنسانية علاقة روحية جديدة بينها وبين العالم.

ثالثا: الفلسفة الغربية وتأثيراتها على جبران

أ– فلسفة نيتشه:

وجد " جبران" في نيتشه* صديقا له يؤنسه في مقره الجديد بحي" غرينتش" من ضواحي نيويورك وأقبل على كتابه"هكذا تكلم زاردشت" إقبال النهم الجائع الظامي حتى ليقول عنه صديقه نعيمة:((ما عرف "جبران" نيتشه حتى كاد ينسى كل من عرفهم من قبله من كبار الكتاب و الشعراء وعلى قدر ما كان يطيب له أن يختلي به يلذ له في البدء أن يحث غيره عنه وأن يهدي أصحابه ومعارفه إليه))[2]. ولكن نعيمة يضيف قائلا:((وما استأنس"جبران" بزرا دشت نيتشه حتى بوحدة أقسى من ذي قبل تكتنفه أين ما سار وبغربة تقصيته عن ما به إلى حد أنه صار يخجل أمام نفسه من كل ما كتبه وصوره حتى ذلك الحين))[3]،كما لم يكن غريبا أن يد على صديقه" نسيب عريضة" عندما طلب جمع مقالات " دمعة وابتسامة" في كتابه فقال شعرا في ذلك:

ذلك عهد عن حياتي قد مضى بين تشبيب وشك ونواح[4].

---

1 – مخائيل نعيمة، الغربال، ص24.

*– فريدريك نيتشه، فيلسوف ألماني ولد عام 1844م، وتوفي عام 1900م، بعيد عن عالم العقلاء، من مؤلفاته: هكذا تكلّم زرادشت، أصل نشأة الأخلاق، إرادة القوى.

2 – الموقعwww.goole.com.

3 – الموقع نفسه.

4 – نادرة جميل السراج، ثلاثة رواد من المهجر، دار المعارف، مصر ،دت،ص28.

ثم فسر ذلك بالنثر قائلا:((إن الشاب الذي كتب دمعة وابتسامة قد مات ودفن في واد الأحلام، فلماذ تريدون نبش قبره؟ افعلوا ما شئتم، ولكن لا تنسوا أن روح ذلك الشباب قد تقمصت في جسد رجل يحب العزم و القوة محبته للظروف و الجمال ويميل إلى الهدم ميله إلى البناء، فهو صديق الناس وعدوهم في وقت واحد))[1]. ويعتبر كتاب"هكذا تكلم زرادشت" من أوفر مؤلفات نيتشه وكان لجبران أفكار وأراء من نتائج تأثير فلسفة نيتشه فيه. فمثلما أمن نيتشه أن من يحلق فوق أعالي القمم سوف يستهزئ بجميع ماسي الحياة أن" جبران" كذلك أن من يعوم في الفضاء كالنسر يستهزئ بمسارح الحياة بل الحياة نفسها.فالقرابة بين "جبران" ونيتشه إن كلاهما أحس بالغربة و الوحشة في هذه الحياة والتصقا بالثورة و التمرد على مجتمعهما بصفة خاصة و الألم بصفة عامة وكلاهما عرف منذ الصبي بالصراحة الخشنة و الجرأة القوية وصلابة الرأي و الميل إلى العزلة،وكلاهما عاش البؤس و الحرمان و الظلم و التهميش وكلاهما كان رائيا VISIONAIRE و ذاتي التفكير وكلاهما أحب الجمال وقدس الحرية وأمن أن التحرر الحقيقي يبدأ في الثورة على الذات الضعيفة وكلاهما مجد الألم كمعلم للإنسانية وكلاهما وجد في ذاته نبيا أو إله، وفي فلسفة نيتشه ميزة تقوم على هدم و تحطيم العادات و التقاليد والقيم الفاسدة ويتضح هذا في كتبه" أشياء إنسانية وأراء مختلفة"و المسافر وظله" وفي جزء" هكذا تكلم زرادشت"، فجبران مثله يهدم في الأرواح المتمردة وعرائس المروج و العواصف و المجنون و المواكب كل هذه المبادئ ويتفق معه: ((إنني أعلم برجال كاملين مطلقي الإرادة، ل يدارون يدعون أنفسهم الهامين ويخضعون كل شيء أنقذهم ويضجون بأنفسهم في سبيل الحقيقة))[2]. فالديانة التي جاء بها زارا دشت وهي جديدة هي ديانة السوبرمان أو الإنسان المتفوق والعودة الخالدة فقد كان" جبران" صورة لنيتشه وظلت العلاقة بينهما قائمة على الخيال و الأسلوب و القالب. فجبران حاول أن يتكلم كنيتشه وما إن طبع منها بطابع نيتشه زمن هذا القبيل حفار القبور، العبودية، أبناء الآلهة

1 – نادرة جميل السراج، ثلاثة رواد من المهجر، ص30.

2 – جميل جبر، جبران سيرته أدبه فلسفته رسم، ص203.

وأحفاد القرود. فالمؤلف يبحث فيها عن العزلة الخلاقة التي تخمر فيها جذور المعرفة على غرار زرا دشت، إذ يخيل له أنه واقف في وادي ظل الموت على ضفاف نهر" الدماء و الدموع" وأن مواكب الإنسانية قبور متحركة وأموات أحياء رسفوا في عبودية التقاليد وانصاغوا لآلية الحياة، لم يقفوا ليعيدوا النظر في ما توارثوه فشاعت منهم روائح القبور في المنازل و المعابد و المحاكم وهكذا يتخذ حفر القبور مهنة له ليدفن هؤلاء الأحياء الأموات الذين ولدوا أمواتا ويشير في الحرية بمعناها الأوسع:((التحرر من تقليد الزواج، التحرر من الإيمان بالله لأنه أضحى إله نفسه يعرض عن الحكمة لأنها صفة بشرية ليجد الجنون لأنه القوة التي لا حد لها، يجدف على الشمس وعلى الطبيعة ويسجد في الماء أمام نفسه وقد نصبها إلها))[1].

وكذا على غرار زرا دشت أيضا ثورته على العبودية الشاملة التي سيرت الإنسانية منذ ألاف السنين عبودية المجتمع وتقاليده، عبودية الأمجاد الباطلة، والخضوع و الاستكانة، و الجهل عبودية الضعف و المحتالين و الشرائع، وأهل الرياء وأبناء الملوك يرثون الأمجاد وجل عنائهم لأنهم ولدوا، وفي نهاية النشيد يطل طيف الحرية، رمز الحياة الآتية، فيسأل الحرية عن أبناء فتجيب واحد مات مصلوبا وواحد مات مجنونة، وواحد لم يولد بعد، ولكن آلهة الفكر أعياهم أن يحرروا الإنسانية من ملوكها وكهانها، وأصنامها وظلماتها، ،أن يبدعوا رعيلا من الآلهة جديدا، فما برح البشر قابعين في كهوفهم وخنوعهم، أفع وأولاد أفاع وحشرات وأبناء قرود، يعيشون في العبودية ويسعدون الوجود ولا يوجدون، ثم يتوكأ على استعارات" بنيتشه" فيمجده الأنا، وإذا الذات شجرة دهرية أرسخت جذورها في الأرض وامتدت فروعها إلى حيث لا ينتمي وإذا الفكر زورق يعود إلى المرمى وله منه هذه الكتابة الميتافيزيقية يولدها عطش لا يعرف الارتواء فنيتشه على لسان زرادشت يمهد إلى ضرورة تحطيم كافة الوصايا و التقاليد والعادات وهو نفس ما قام به"جبران".

1 – انطوان غطاس كرم، محاضرات في جبران خليل جبران، دار الرائد للطباعة، القاهرة مصر ، 1964،ص130.

وهكذا اتسعت أفاق" جبران" ودخل نيتشه حياته ومن بعد زرادشت نيتشه بتعاليمه وفلسفته ولم يعد أمامه غير نيتشه وزرادشت وبعد أن كان"جبران" يسيل رقة في عواطفه، أصبح يهيم بالقوة في كتابات نيتشه بل جعله يذكر ما كان يؤمن به أيام شبابه وبخاصة مفهوم الحب، وقد أصبح عنده سيادة واستيلاء، ولعله رأى في نيتشه الرجل الذي سبقه إلى عالم كان يريد أن يكون رائده،لقد أحس وحشة نيتشه ووحدته خلال القرن التاسع عشر، وأدرك تفرده في خلقه الذي ساوى فيه"ابسن" وفي تدميره الذي لم يسبق إليه هو عنده"ديو نيسوس" دون خمر، وإنسان أعلى حبيس الغابات و الحقول لقد اعترف مرة لـ" ماري هاسكل" وفي صراحة لم تمنع شبح بسمته من أن تطل على وجهه:((كم أكره ذلك الرجل الذي انتزع من رأسي الكلمات وقطف ثمار الشجرة لحظة اقترابي منها، حقا لقد تقدم عصره بثلاثمائة سنة أما أنا فسأنبت شجرة أظل أقطف من ثمارها ستمائة عام))[1].

وكتاب النبي– بصفحاته المحدودة– هو الصورة المكتملة لـ"جبران" حيث اكتملت تجاربه كلها فيه كذلك عواطفه وآماله وأحلامه وأرائه وصوفيته وفلسفته ونظراته، إرهاصات الأمس بعد أن أصبحت مذهبا له مقدماته ومسوغاته ونتائجه، فبعد أن ألقى على أهل"أورفليس" خمسة وعشرين موعظة في خمس وعشرين جهة من جهات الحياة الإنسانية، يودعهم وداع مؤثرا وينصرف عنهم إلى بلاده.هذا هو القالب الذي اختاره"جبران" ليسكب فيه خلاصة أفكاره في الناس وحياتهم،وهو قالب جميل يليق بما يحمله وما يحمله يليق به لكنه لم يكن كله من صياغة"جبران" فشكله الإجمالي مستعارا من نيتشه وزرادشت:((فكأن "جبران" الذي تخلص من سطوة أفكار نيتشه لم يتخلص من سطوة أساليبه البيانية أو الفنية، ولم يكن يعلم أنه لم يتخلص))[2].

- "نيتشه اتخذا زرادشت – وهو نبي– برق لأفكاره و"جبران" اتخذا نبيا دعاه المصطفى

1 – ثروت عكاشة، روائع جبران خليل جبران، ص22.

2 – المرجع نفسه،ص23.

- زرادشت نيتشه يعتبر غريبا بين الناس ناثرا عليهم أفكاره، وعندما تتعب روحه من الغربة بينهم وتحن إلى العزلة الملهمة يتركه و يعود إلى"جزيرة السعادة" ومصطفى جبران" ينثر عليهم (الناس) موعظة ثم يعود بعد غربته بينهم إلى" الجزيرة" التي هي مسقط رأسه.
- زرادشت نيتشه يودع تلاميذه في أخر القسم الأول من الكتاب ويقول لهم فيما يقوله:((أنا لن أعود إليكم إلا متى أنكرتموني كلكم))[1]. ومصطفى جبران يودع أصحابه كذلك.
- زرادشت نيتشه في أول القسم الثالث يتأهب للعودة من الجزائر السعيدة إلى العالم فيصعد جبلا عاليا وفي صعوده يكتشف قلبه و ألامه ثم يشرف على البحر فيخاطبه هكذا:((أنت أيها البحر القائم، الحزين المنبسط تحتي، أيها القدر، أيها البحر، إليكما أنحدر الآن))[2].ومصطفى جبران يصعد هضبة خارج أورفليس، ويخاطب قلبه الناس طويلا ثم يرى البحر فيخاطبه مثلما خاطب زرا دشت نيتشه ونيتشه البحر.
- وكما إن زرادشت هو نفس نيتشه كذلك المصطفى هو نفس جبران.
- وكما أن نيتشه طرح على زرادشت نقابا من التمويه الرمزي و المجازي ويحجبه عن عيون الذين يجهلونه من قارئيه، هكذا طرح جبران على مصطفى نقابا من المجاز و الرموز بحجبه عمن ليس يعرفه.

فنستنتج أن جبران استعمل بعض الشكليات النيتشوية الزرادشية كأسلوب الوعظ ولغة الحكمة و التمرد:((وعندما بلغ المصطفى سفح التلة التقت ثانية إلى البحر فرأى سفينته تدنو من المرفأ وأبناء بلاده يروحون ويجيئون على مقدمتها. فهتفت له من صميم فؤاده وقال:

يا أبناء أمي الأولى، أيها الراكبون متون الأمواج المذللون مدها وجزرها. كم من مرة أبحرتم في أحلامي، وها قد أتيتم ورأيتم في يقتضي التي هي أعمق أحلامي، إنني على أتم الأهبة للإبحار وفي أعماقي شوق عظيم يترقب هبوب الريح على القلوع بفارغ الصبر. ولكنني أود

1 – ميخائيل نعيمة، المجموعة الكاملة، دار المعارف للملايين، بيروت لبنان، ط5، 1999م، ص254.

2 – المرجع نفسه،ص255.

أن أتنفس مرة واحدة في هذا الجو الهادئ وأن أبعث بنظرة عطف واحدة إلى الوراء. وحينئذ أقف معكم ملاحا بين الملاحين. أما أنت أيها البحر العظيم أيها الأم الهاجعة أنت أيها البحر العظيم الذي فيك وحدك يجد النهر والجدول سلامهما وحريتها. فأعلم إن هذا الجدول لن يدور إلا دورة واحدة بعد، ولن يسمع أحدا خريره على هذا المعبر بعد اليوم، وحينئذ أتى إليكم .طليقة إلى أوقيانوس طليق))[1].

((ثم نزل عن درجات الهيكل ومشى، فتبعه الشعب بأسره. وظل يجد سيره و الشعب يلحق به حتى وصل إلى المرفأ فصعد إلى سفينته ووقف على ظهرها حينئذ رفع صوته و الشعب ينظر إليه وقال لهم: يا أبناء"أورفليس"إن الريح تأمرني أن أفارقكم. ومع أنني لست كالريح عجولا، فإنني مرغم أن أطيع أوامرها.لأننا نحن الهائمين الذين ينشدون أبدا أشد الطرق وحدة، لا نبدأ أعمال نهار ما عندما نفزع من نهار غيره، ولا يجدنا شروق شمس حيث تركنا الغروب الذي تقدمه. لأننا، ،إن نامت الأرض، مستيقظون نوالي مصيرنا.

نحن بذور نبات غريب عجيب، وفي بلوغنا واكتمال نمو قلوبنا قد وهبنا منحة للريح فترقنا على وجه الأرض.

قليلة كانت أيامي بينكم، وأقل منها كلماتي التي تركتها لكم، ولكن إذا تلاشى صوتي في أذانكم وزالت محبتي من قلوبكم فحينئذ أتى إليكم وأخاطبكم ثانية بقلب أوفر عطفا من قلبي وشفتين أجزل أثمارا للروح شفتي))[2].

((واغرب ما لقيت من أنواع العبوديات وأشكالها العبودية العمياء، وهي التي توثق حاضر الناس بماضي أبائهم وتنيخ نفوسهم أمام تقاليد جدودهم وتجعلهم أجسادا جديدة لأرواح عتيقة وقبورا مكلسة لعظام بالية.

و العبودية الخرساء،وهي التي تعلق أيام الرجل بأذيال الزوجة التي يمقتها، وتلصق جسد المرأة بمضجع الزوج الذي تكرهه وتجعلها من الحياة بمنزلة النعل من القدم...

1 – جبران خليل جبران، النبي،ص11.

2 – المرجع نفسه ،ص75.

و العبودية الصماء، وهي التي تكره الأفراد على إتباع مشارب محيطهم و التلون بألوانه و الارتداء بأزيائه فيصبحون من الأصوات كرجع الصدى ومن الأجسام كالخيالات.

والعبودية العرجاء، وهي التي تقع تحت رقاب الشداد تحت سيطرة المحتالين، وتسلم عزم الأقوياء وإلى أهواء الطامعين بالمجد و الاشتهار فيمسون مثل آلات تحركها الأصابع ثم توقفها ثم تكسرها.

والعبودية الشمطاء، وهي التي تربط بأرواح الأطفال من الفضاء المتسع إلى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الغباوة ويقطن الذل في جوار القنوط، فيشبون التعساء ويعيشون مجرمين ويموتون مرذولين. والعبودية الرقطاء وهي تباع الأشياء بغير أثمانها وتسمى الأمور بغير أسمائها فتدعوا الاحتيال ذكاء و الثرثرة معرفة و الضعف لبنا و الجبانة أباء. و العبودية العوجاء وهي التي تحرك بالخوف السنة الضعفاء فيتكلمون بما لا يشعرون ويتظاهرون بما لا يضمرون ويصبحون بين أيدي المسكنة مثل ثوب تطويه وتنشره. و العبودية الجرباء، وهي التي تقود قوما بشرائع قوم آخرين. والعبودية السوداء، وهي التي تسم بالعار أبناء المجرمين الأبرياء والعبودية و للعبودية نفسها هي قوة الاستمرار ولما تعبت من ملاحقة الأجيال، وملت النظر إلى مواكب الشعوب و الأمم،جلست وحيدا في وادي الأشباح حيث تختبئ خيالات الأزمنة الغابرة وتربض أرواح الأزمنة الآتية. هناك رأيت شبحا هزيلا يسير منفردا محدقا إلى وجه الشمس فسألته:

من أنت وما أسمك؟

قال: اسمي الحرية

وقلت: أين أبناؤك؟

قال: واحد مات مصلوبا، ووحد مات مجنونا، وواحد لم يولد بعد.

ثم توارى عن عيني وراء الضباب))[1].

1 – جبران خليل جبران، العواصف، ص62.

إذا هذه هي أهم التعاليم الزرادشتية النيتشوية التي اتخذها جبران كمبادئ لبعض كتاباته.

ب– فلسفات أخرى:

يستحيل على العقل إن ينفذ إلى أسرار الوجود باعتماده على الرفض الكلي لمجمل ما أبدعه الفكر البشري عبر الزمن، فهو يحتفي تراثا من المفاهيم و القيم و المعلومات ما فتى العبر الإنساني ينحته، عبر صراعه الطويل منذ يقضه الحياة الآدمية، إن البدء من لاشيء في الحياة أمر مستحيل،فكيف في حقل البحث عن المعرفة؟ لذلك يفترض بكل طامح للمعرفة أن يتكئ على السالفين فينسج قماشه إبداعه الخاص بالكثير من الخيوط المحاكة على نول الذين سبقه في حقل نشاطه هكذا ينظر إلى كل عالم وفيلسوف. ولا ضير عللا الفيلسوف إن هو تأثر ببعض استنتاجات سابقيه لأن الفلسفية هي عملية" غزو دائم" كحقيقة سرابية تهرب أمام الناس فيستعمل الباحث عنها نتائج أبحاث سواه كوسائل للقفز إلى استنتاجات جديدة، فأفلاطون تأثر بروحانية فيثاغورس وواقعية أرسطو مستندا إلى مثالية أفلاطون وسامي أفلوطين متأثر بتسامي الأفلاطوني، وتوما الأكويني مجدد لفلسفة أرسطو و هيكل مطور الديالكتيكية مير أقليط، وجون بول سارتر استعمار الكثير من أفكار بيدجر، وهو ما يدل على أن الفلسفة هي سلسلة متواصلة الحلقات لا تقطع فيها، ولا إبداع من لاشيء. فبعد أن رأينا الأصول الفكرية و الفلسفية ومصادر الفكر الجبراني وإشعاعه فيما مضى من شرح فما هي الأصول الفكرية الأخرى التي تأثر بها جبران؟ بالإضافة إلى كل تلك الأصول التي تأثر بها جبران واستنبط منها فلسفته هناك أيضا: التشابه الروحي و الفكري بينه وبين أعظم شاعر هندي حديث"طاغور" فقد تأثر"جبران" أيما تأثر:((فطاغور يؤمن على غرار"جبران" بأن الوحدة الإلهية اللامنتهية تناظم تعدد عناصر العالم، فتكون هذه العناصر لا متناهية كإلوهية و"جبران" وفي أكثر ما يكون من الشبه قمة الكمال وذروة

الاتحاد بالطبيعة وبالله، وبتالي أخر مطمع للإنسان ومثل "جبران" في المرحلة الأخيرة من تفكير الإنساني إي في"النبي" وحديقة النبي))[1].

ومن مصادر تأثره أيضا"سبينوزا" الهولندي الذي أتى جبران على ذكره وراودته فكرة وضع كتاب عنه كما يقول:"نعيمة" وهو الذي سنورد بمقارنة مقتفية بين حلولية الإلهية وحلولية جبران الإنسانية معتبرين أفكاره أحد روافد الفلسفة الجبرانية (فقد وصلت الحلولية بجبران إلى التضحية بالله في سبيل الإنسان، كما وصلت"سبينوزا" من قبله في حلوليته الغلهية إلى التضحية بالإنسان في سبيل إله الكون الزاحف عبر الزمن نحو كمال ذته، فهكذا ضاع الله في حلولية جبران ليبرز وجه الإنسان صافيا وكبيرا، كما ضاع وجه الإنسان في حلولية سبينوزا ليبرز وجه إله صافيا))[2].

إضافة إلى الأثر الواضح للكاتب هو ثرن في روايته الشهيرة" الحرف القرمزي" فقد تأثر جبران ببعض المناحي الخلقية العائدة إلى مشاعر الإثم والمأساوية العائدة للموقف من الفاجعة فضلا عن الاستغراق في حب الطبيعة وهي المسائل البارزة في تلك الرواية، والمشابهة في كثير من نواحيها للمواقف الجبرانية))[3].

كما تأثر أيضا بروسو الذي تعرف إليه أول الأمر تعرف غير مباشر عن طريق الرومانطيقيين الانجليز ويقول"الحويك"((أن جبران كان مولعا بقراءة أثار روسو في أثناء إقامته بباريس))[4] و روسو لم يكن فيلسوف العقد الاجتماعي فحسب بل كان أيضا كاتبا قصصيا وشاعرا مجد الطبيعة بشعره المنثور. فالطبيعة عند روسو موطن السكينة والمسرة وهي نفس الشيء عند جبران ولا بد أن اشراقات وأفكار رومنطيقية خاصة قد أسرت خيال جبران وشقت طريقها إلى أثاره المبكرة ففي القصيدة النثرية أغنية الجمال:((أنا حقيقة أيها

1- الموقعwww.goole.com.

2 – الموقع نفسه.

3 – خليل الحاوي، جبران خليل جبران، إطاره الحضاري وشخصيته، أثاره، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص186.

4- المرجع نفسه،ص186.

الناس، أنا حقيقة وهذا خير ما تعلمونه))[1]. فمن الواضح أن الاقتباس كان من"نشيد دورق إغريقي"لكيتس:((الجمال هو الحقيقة و الحقيقة هي الجمال، ذلك كل ما تعرفونه في الحياة على الأرض وكل ما تحتاجون إلى معرفته))[2]. والرقة التي يعبر عن رغبته في الموت في قصيدة"يوم مولدي" هي أيضا مأخوذة عن كيتس:((قد أحببت الموت "مرات عديدة" فدعوته بأسماء عديدة))[3].فتأثره بروسو دفعة بالتأثر بها هؤلاء الرومانطيقيين الفرنسيين و الألمان من أمثال(("تشيلي"و"موسية"و"رود زوث"و"تيمان" وغيرهم بما أنه جاء متأخرا عليهم أثناء وجوده بفرنسا قرأ وتأثر بهذا المذهب،كما تأثر جبران ببلايك الشاعر الإنجليزي و الكاتب الأمريكي امرسون))[4].كما كانت هناك تأثيرات أخرى أو أصول تاريخية لبعض أفكار جبران من خلال قراءته ورحلاته التي قادته إلى أوربا و العالم الأمريكي، و الأصول الشرقية التي استمد من أصولها أفكار لفلسفته وكذا تأثره بمفكرين قدامى وتيارات فلسفية عرفتها الحضارات. فلم يكن عبقريا بفلسفته الكونية لأن معظم خطوطه الكبرى وارد في التراث الفلسفي قبله،بل كان عبقريا بإخراجه الجمالي لعناصر هذه الفلسفة تأليفا وتعبيرا وأداء مرهفا وتبيانا طريفا لغاياته لم يجاريه فيه أي من كاتب عصر النهضة ويخالجنا الاعتقاد أن دراسة جبران من خلال"فن الجماليات" هي الأصلح لضبط مراميه ومنهجيته، و الأصدق في مغامرة الكشف عن سر عبقريته فقلما نعثر على إنسان تألق في تأليف الجمالي بين الفلسفة و الأدب و الرسم كما تألق هو. حتى ليبدو التنوع و التداخل بين مختلف هذه الحقول في أثاره إنجازا فريدا، يبيح لنا القول عن نتاجه على أنه عزف بالقلم و الريشة على آلة العقل لوضع سمفونية تنشيد بإيقاع الكلمات و الألوان و الخطوط شوق الإنسان لفهم أسرار ذاته و أسرار الوجود.هكذا عنى جبران من هذه الموارد على تنوعها فكان شأنه شأن النحلة المتنقلة من زهرة إلى زهرة

[1] – خليل الحاوي، جبران إطاره الحضاري وشخصيته أثاره، ص187.

[2] – المرجع نفسه،ص187.

[3] – المرجع نفسه،ص187.

[4] – المرجع نفسه،ص187.

تمتص مادة عسلها الخاصة، فهو وإن أخذ من كل الأصول التي ذكرناها، لم يكن مقلدا بقد ما كان مبدعا وفنانا وعبقريا.

خاتمة

الخاتمة:

العرب الذين هاجروا إلى أرض الدنيا الجديدة كان لهم ورثة تراث حضاري عريق وكان لهم احتكاك بحضارة الغرب مما أتاح لهم فرص التأسيس و البناء لأدب عربي معبر عن مشاعرهم فتزاوجت اللغة العربية واللغات الأخرى، فكان الأخذ و العطاء وكان تلاقي الأدب العربي و الآداب فظهرت حضارة وقيم جديدة مسايرة للتطور، فالأدب المهجري عبر عن حضارة العصر.ضف إلى أن المهجريين كانوا في عراك بين القديم و الجديد.إن أدب المهجر أدب الحياة وسوف يخلد على الزمان إلى جوار آدابنا القديمة والحديثة ويكون كل عصر جيل من الناس ما دام في جوانح الإنسان روح حية وقلب خفاق فهؤلاء الأدباء سجلوا أسماءهم بحروف من ذهب في تاريخ الأدب العربي و الجميع يشهد لهؤلاء على ما قدموه للغة العربية وأدبها، فقد نقلوا لغتهم إلى أرض غير أرضهم وعبروا بها عن أفكارهم وأخرجوا لنا أدبا جديدا من حيث المضمون و الشكل و الموضوعات ومن هؤلاء العبقري جبران، فهؤلاء الكتاب ومنهم جبران لم يقولوا أشياء جديدة في هذا الموضوع وإنما حقائق فلسفية قديمة آمنوا بها و أسقطوها على وجدانها،ثم سجلوا في أمانة وعمق وحرارة إحساسهم وانفعالهم ووصفوا العوالم الخفية المسحورة التي قادتهم إليها هذه الحقائق وقد أدخلوا في الأدب ثقافات و أفكار و فلسفات قديمة شرقية وعربية و غربية، لم يتسع أن نتذوقها إلا على أيديهم على أنهم لم يتورطوا في جفاف الفلسفة، فقد تحدثوا عن الفلسفة بلغة الأدب لا بلغة الفلسفة، فتلك المصادر الفلسفية و الفكرية لا يمكن أن تكون جاءت هكذا ليعبروا عنها في أدبهم لو لم تكن قد عرفوها من قبل سواء من القراءة أو الاحتكاك لأن الإنسان يؤثر ويتأثر بالآخرين من النواحي الفكرية و العقائدية و الفلسفية،وليس في هذا العالم شيء يتصف بالكمال غير كمال الله، وليس في هذا العالم مفكر أو أديب أو فيلسوف أو حكيم أو فنان خلت أعماله أو آراؤه أو مؤلفاته من النقاط السلبية أو الضعيفة، وأدب جبران ككل الآداب يحمل القوة و الضعف

و الإيجاب و السلب ولعل أهم مايميزه:

- فرغم الخيال والعاطفة التي تتميز بها الكتابات الجبرانية فإنها لا تخلو من الواقعية والعمق الفلسفي.
- حياة جبران ما هي إلا مرآة عاكسة على أثاره كلها،فالبؤس و الحزن الذي عانى منهما دفعه إلى التمرد ويتجلى ذلك في مؤلفاته كالأرواح المتمردة وعرائس المروج.

ملحق

جبران خليل جبران شاعر وكاتب ورسام لبناني عربي من أدباء وشعراء المهجر هاجر صبيا رفقة عائلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على جنسيتها، ولد في6 يناير 1883 في بلدة بشري شمال لبنان حين كانت تابعة لمتصرفية جبل لبنان العثمانية. توفي في نيويورك 10 ابريل 1931 بداء السل .ويعرف أيضاً بخليل جبران، وهو من أحفاد يوسف جبران الماروني البشعلاني. هاجر وهو صغير مع أمه إلى أمريكا عام1895 حيث درس الفن وبدأ مشواره الأدبي. اشتهر عند العالم الغربي بكتابه الذي تم نشره سنة 1923 وهو كتاب النبي، أيضاً عرف جبران بالشاعر الأكثر مبيعًا بعد شكسبير و لاوزي.

نشأته:

ولد جبران لعائلة مارونية، أمه كاميليا رحمة (واسمها الأصلي كاملة) كان عمرها 30 عندما ولدته وهي من عائلة محترمة ومتدينة، وأبوه خليل هو الزوج الثالث لها بعد وفاة زوجها الأول وبطلان زواجها الثاني، كانت أسرته فقيرة بسبب كسل والده وانصرافه إلى السكر والقمار، لذلك لم يستطع الذهاب للمدرسة، بدلاً من ذلك كان كاهن القرية، الأب جرمانوس، يأتي لمنزل جبران ويعلمه الإنجيل والعربية والسريانية تعلم مبادئ القراءة والكتابة من الطبيب الشاعر سليم الظاهر مما فتح أمامه مجال المطالعة والتعرف إلى التاريخ والعلوم والآداب. في سنة 1891تقريبًا، سجن والده بتهمة اختلاس وصودرت أملاكه، وأطلق سراحه في 25 يونيو1895 ، قررت والدته الهجرة مع أخيها إلى أمريكا وتحديداً نيويورك مصطحبة معها كلاً من جبران وأختيه، ماريانا وسلطانة، وأخيه بطرس.

سكنت عائلة جبران فيها، بالخطأ تم تسجيل اسمه في المدرسة خليل جبران، هناك بدأت أمه العمل خياطة متجولة، كما فتح أخوه بطرس متجراً صغيراً، أما جبران فبدأ بالذهاب للمدرسة في 30 سبتمبر1895 وضعه مسؤولوا المدرسة في فصل خاص للمهاجرين لتعلم الإنجليزية، التحق جبران أيضاً بمدرسة فنون قريبة من منزلهم، ونمّت مواهبه الفنية وشجعته (فلورنس بيرس) معلمة الرسم في المدرسة، وكان من أعضاء هذه المدرسة الآنسة (دغيسي بيل) التي كتبت إلى صديقها المثقف الغني فريد هولاند داي، وهو الذي شجع[1]

[1] - موقع وكيبيديا(الموسوعة الحرة)

جبران ودعمه لما رأى محاولاته الإبداعية، كان يعيره الكتب التي أثرت في توجيهه الفكري[1] والروحي والفني وقد استخدم فريد بعض رسومات جبران لأغلفة الكتب التي نشرتها دار (كويلا اند داي).

في عمر الخامسة عشر، عاد جبران مع عائلته إلى بيروت ودرس في مدرسة إعدادية مارونية ومعهد تعليم عال يدعى الحكمة، بدأ مجلة أدبية طلابية مع زميل دراسة، ثم انتخب شاعر الكلية، كان يقضي العطلة الصيفية في بلدته بشري ولكنه نفر من والده الذي تجاهل مواهبه، فأقام مع ابن عمه نقول.

وجد جبران عزاءه في الطبيعة، وصداقة أستاذ طفولته سليم الظاهر، ومن علاقة الحب بينه وبين حلا الظاهر التي استوحى قصته (الأجنحة المتكسرة) بعد عشر سنوات، بقي في بيروت سنوات عدة قبل أن يعود إلى بوسطن في 10 مايو 1902 قبل عودته بأسبوعين توفيت أخته سلطانة بالسل بعد سنة، توفي بطرس بنفس المرض وتوفيت أمه بسبب السرطان، أما ماريانا، فهي الوحيدة التي بقيت معه، واضطرت للعمل في محل خياطة.

جبران والرابطة القلمية:

أسس جبران خليل جبران الرابطة القلمية مع كلٍّ من ميخائيل نعيمة، عبد المسيح حداد، ونسيب عريضة، كانت فكرة الرابطة القلمية هي لتجديد الأدب العربي وإخراجه من المستنقع الآسن كما يروي إسكندر نجار في كتابه الذي ألّفه عن جبران ويحمل اسم (جبران خليل جبران).

أدبه ومواقفه:

كان في كتاباته اتجاهان، أحدهما يأخذ بالقوة ويثور على عقائد الدين، والآخر يتتبع الميول ويحب الاستمتاع بالحياة النقية، ويفصح عن الاتجاهين معًا قصيدته" المواكب "التي غنتها المطربة اللبنانية فيروز باسم "أعطني الناي وغنّي."

تفاعل جبران مع قضايا عصره، وكان من أهمها التبعية العربية للدولة العثمانية والتي حاربها في كتبه ورسائله. وبالنظر إلى خلفيته المسيحية، فقد حرص جبران على توضيح موقفه[2]

[1] - موقع وكيبيديا(الموسوعة الحرة)
[2] - الموقع نفسه

بكونه ليس ضِدًا للإسلام الذي يحترمه ويتمنى عودة مجده، بل هو ضد تسييس الدين سواء الإسلامي أو المسيحي.

مؤلفاته باللغة العربية

- دمعة وابتسامة.
- الأرواح المتمردة.
- الأجنحة المتكسرة.
- العواصف (رواية).

البدائع والطرائف :مجموعة من مقالات وروايات تتحدث عن مواضيع عديدة لمخاطبة الطبيعة ومن مقالاته "الأرض" نشر في مصر عام1923

- عرائس المروج
- نبذة في فن الموسيقى
- المواكب

مؤلفاته باللغة الإنجليزية :

- النبي، مكون من 26 قصيدة شعرية وترجم إلى ما يزيد على 20 لغة.
- المجنون.
- رمل وزبد.
- يسوع ابن الإنسان.
- حديقة النبي.
- أرباب الأرض.
- الشّعلة الزرقاء وهي تضمّ رسائله إلى الأديبة ميّ زيادة[1]

شخصية جبران وثقافته:

[1] - موقع وكيبيديا(الموسوعة الحرة)

كان جبران ميالاً منذ الطفولة إلى الوحدة والتأمل لأحلام اليقظة، وظل في مراهقته منطوياً على نفسه، بعيداً عن الأقارب والجيران.

وكان سريع البديهة، متواضعاً و طموحاً، شديد الرغبة بالشهرة ولو عن طريق الانتقاد، فقد سر بانتقاد المنفلوطي لقصته ((وردة الهاني))

وكان لجو بوسطن الذي نشأ فيه الأثر في إذكاء ثورته على التقاليد والنظم البالية في المجتمع الشرقي، وذلك عندما أحس بالتناقض بين جو الحرية الفكرية الاجتماعية السياسية في بوسطن وبيئته الشرقية. رافقته أحلام اليقظة من الطفولة حتى الرجولة فادّعى لمعارفه – وخاصة ماري هاسكل– أنه ينحدر من أسرة أرستقراطية غنية عريقة، وكان واسع الثقافة فقد قرأ لشكسبير وللشعراء الرومانسيين و لسيما بليك كيتس ، شلي، نيتشه، ولعله حاكى في قصائده النثرية قصائد الشاعر الأمريكي والت ويتمان مبتكر هذا الفن، كما يبدو أثر الفلسفة الأفلاطونية في رومانسيته وتصوفه، وأثر الإنجيل بارز في نتاجه، فقد خصّ المسيح بكتابه ((يسوع ابن الإنسان))كما تأثر بالتصوف الشرقي الهندي منه المسيحي و الإسلامي، فآمن بوحدة الوجود والتقمص، وبالحب وسيلة لبلوغ الحقيقة، هذا فضلاً عن قراءته الأساطير اليونانية والكلدانية والمصرية.

وفاته:

توفي جبران خليل جبران في نيويورك في 10 أبريل1931 وهو في 48 من عمره، كان سبب الوفاة هو تليف الكبد والسل، وكانت أمنية جبران أن يُدفن في لبنان، وقد تحقق له ذلك في 1932 دُفن جبران في صومعته القديمة في لبنان، فيما عُرف لاحقًا باسم متحف جبران[1].

[1] - موقع وكيبيديا (الموسوعة الحرة)

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المراجع:

1- أحمد شوقي، الشوقيات ، دار الطبع دار العودة، بيروت لبنان،م1،د ط،1983.

2- أنطوان غسان كرم، محاضرات في جبران خليل جبران، دار الرائد للطباعة، القاهرة مصر، دط، 1964.

3- أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، دط، د ت.

4- أنيس داود:التجديد في شعر المهجر، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د ط، دت.

5- إيليا الحاوي، إيليا أبو ماضي، شاعر التساؤل و التفاؤل، دار الكتب اللبناني، بيروت،دط،1972.

6- ثروت عكاشة، روائع جبران خليل جبران، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط2،دت.

7- جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة، دار صابر بيروت،ط2،دت.

8- جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة المعربة، دار صادر، بيروت، دط، دت.

9- جبران خليل جبران، المواكب، دار العربي للبستاني، القاهرة مصر،دط، دت.

10- جبران خليل جبران، حديقة النبي،دار صادر بيروت،ط2،دت.

11- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، دار صادر بيروت،ط2،دت.

12- جبران خليل جبران،العواصف، دار صادر بيروت،ط2،دت.

13- جميل جبر، جبران سيرته أدبه فلسفته، دار الريحاني للطباعة، بيروت،دط،1958.

14- جورج غريب، المقالة الأدبية، دار صادر، بيروت لبنان،د ط، د ت.

15- حبيب مسعود،جبران حيا وميتا، دار الريحاني للطباعة و النشر،بيروت لبنان،ط2،دت.

16- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت لبنان،ط3،د ت.

17- حيدر توفيق بيضون، الشاعر القروي، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان،ط1،1993.

18- خليل الحاوي، جبران خليل جبران إطار الحضاري وشخصيته أثاره، دار العلم للملاين، بيروت لبنان،ط1،1983.

19- سهيل البشروني،دراسات و مختارات،م نوفل، بيروت لبنان،ط2،1972.

20- شوقي الضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة مصر، ط3،د ت.

21- الطليعة الأدبية، مجلة تصدر عن وزارة الثقافة و الإعلام، دار الجاحظ، العدد3،دت.

22- عبد الحكيم بلبع، حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية و التطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر،د ط، 1980.

23- عبد الرحمان زايد، القضايا الاجتماعية في أدب جبران، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة عين الشمس ،القاهرة مصر،1995.

24- عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، الناشر دار الوفاء لدينا الطباعة و النشر، الإسكندرية مصر، دط، د ت.

25- عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان،ط3،1980.

26- عيسى الناعوري،أدب المهجر، دار المعارف، مصر القاهرة،دط،1967.

27- غسان خالد،جبران الفيلسوف، م نوفل، لبنان بيروت، ط2، 1983 .

28- محمد عبد الغنى حسن، الشعر العربي في المهجر، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، دط ، د ت.

29- ميخائيل نعيمة، المجموعة الكاملة، دار المعارف للملايين، بيروت لبنان،م3،ط1995،5.

30- ميخائيل نعيمة، نابغة لبنان، دار الهلال،القاهرة مصر،ط1،دت.

31- ميخائيل نعيمة،الغربال، دار صابر، بيروت لبنان،دط،1960.

32- نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف، القاهرة مصر، د ط، 1964.

33- نادرة جميل السراج،ثلاثة رواد من المهجر، دار المعارف، مصر،دط،دت.

34- نبيل كرامة،جبران خليل جبران و القومية العربية، منشورات دار الرابطة الثقافية والعربية للطباعة والنشر و التوزيع،بيروت لبنان،دط،دت.

35- نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجر بين أصالة الشرق و الغرب، دار الفكر، القاهرة مصر،د ط، د ت.

الرسائل:

عبد الرحمان زايد، القضايا الاجتماعية في أدب جبران، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة عين الشمس ،القاهرة مصر،1995.

المجلات:

مجلة هنا لندن، عالم الأدب،بقلم فهمي حرب، أذيع في يوم 16-02-1973 .
منها الساعي الأدبية بالبرازيل، ومنها نادي الأرز الرابطة الفنية .

المواقع:

الموقع، www.google.com
الموقع، www:ARABVISTA,COM
الموقع، وكيبيديا (الموسوعة الحرة) .

فهرس

الموضوعات

فـهرس المـحتويـات

مقدمة .....أ–د

الفصل الأوّل: الهجرة الأدبية العربية

أوّلا: الهجرة الأسباب، الدوافع والنتائج.....06

أ– الهجرة عواملها وأسبابها 06

ب – الهجرة الأحداث والنتائج 11

ثانيا: الأدب المهجري 21

أ – المؤثرات العامة للأدب المهجري.....21

ب – الأدب المهجري، فنونه ورأي النقاد فيه 23

ثالثا: خصائص الشعر المهجري 27

أ – التجديد في الشكل 28

ب – موضوعات الشعر المهجري 32

رابعا: أعلام الشعر المهجري 37

– من أعلام الشعر المهجري 37

الفصل الثاني: تأثير الفكر الفلسفي في جبران

أوّلا: الأصول الاجتماعية والاشتراكية 44

أ – المساواة 44

ب – المرأة والحرية 53

ثانيا: الأصول الدينية 60
أ – القرآن الكريم والمسيحية 60
ب – التناسخ 65
ج – التصوف 68
ثالثا: الفلسفة الغربية وتأثيراتها على جبران 74
أ – فلسفة نيتشه 74
ب – فلسفات أخرى..... 81
الخاتمة 86
ملحق 89
قائمة المصادر والمراجع 94
الفهرس 98

الملخص :

تعد جذور الاتجاه الفلسفي ضاربة في أعماق التراث، وأهم ما شغل الفكر الإنساني عبر الزمن وفي مختلف الحضارات، فهي وسيلة من وسائل التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمعات البشرية، وأساس الرقي والازدهار، فهي القلب النابض لمختلف الأمم وفي مقدمتها المجتمع اليوناني .

ونظرا لهذه الأهمية التي انفردت بها الفلسفة تطورت لتشمل جميع الميادين من خلال أفكارها الواسعة، ومن بين هذه الدراسات الأصول الفلسفية التي تطرقنا إليها في بحثنا الذي وسم بـ : تأثيرات الاتجاه الفلسفي في شعراء المهجر – جبران خليل جبران أنموذجا – بتقسيم نتج عنه فصلين :

- الفصل الأوّل : جاء بعنوان الهجرة الأدبية العربية .
- أمّا الفصل الثاني : فكان موسوما بـ : تأثير الفكر الفلسفي في جبران .

Résumé :

Les racines de la direction philosophique enracinée dans les profondeurs de l'héritage , et la chose la plus importante remplis la pensée humaine au fil du temps et dans différentes culture , ils sont un moyen de communication et de compréhension entre les membres de la société humaine , et la base de progrès et de prospérité sont le cœur des différents notions , en particulier la societé grecque et compte tenu de cette vastes , philosophique parmi cas actifs que nous avons parlé dans notre recherche qui « khalil Gibran » le fait comme modèle .on a composé notre recherche en deux chapitre :

Le premier chapitre :a été intitulé l'émigration littéraires arabe.

Le deuxième :intitulé l'impacte de la pensée philosophique « en Gibran ».